

جمع وترتيب وتحقيق
أحمد فريد

الناشر
مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
ت : ٨٦٨٦٠٥

الطبعة الأولى للكتاب
١٤٠٩ هـ
الطبعة الرابعة
١٤١٤هـ

الناشـر
مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي
ناصية ش محمد عبد الهادي - الجوهرة بالطالبية . ت: ٨٦٨٦٠٥ - جيزة - مصر .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فما له من هاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد

فالكتاب الذي نقدمه اليوم لإخواننا القراء ، قوامه جد خطير ، يعرض لما خُلق الإنس والجن من أجله ، ألا وهو العقيدة ، وأية عقيدة ؟ إنها العقيدة السلفية ذات الثمار اليانعة ، التي لم يتمسك بها أحد إلا وأوصلته طريق السلامة ، ونأتْ به عن سبل الندامة .

يقدم لنا الكتاب – بأسلوب سهل غير معقد ولا مركب – كيف يوحد الناس ربهم ، دونما تعقيد أو تلبيس ، بعيداً عن الجدال والمراء وما يجلب الآثام ، وبعيداً عن الخوض في علم الكلام الذي نتاجه أمرُّ من الحنظل .

كما يوضح الكتاب ثمرات الإيمان الصحيح ، والاتباع للرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويبين أنه ليس لنا سلف سوى المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وما جاءنا به من كتاب ربه وسنته المطهرة . وما أرشدنا إليه من سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، وأصحابه خيار الأمة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، نعرف لهم فضلهم وأمانتهم ، ونشهد بصدقهم وإمامتهم ؛ لإرشاد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمره لنا باتباعهم واقتفاء آثارهم فيجب أن نكون مع نصوص الكتاب والسنة دائرين ، ولمن قال بهما متبعين ، لا تأخذنا فيهما لومة لائم ، ولا يثنينا في الذبِّ عنهما إرجاف منحرف في ضلالته هائم ، فإن أشكل علينا فهم معنى ،

رجعنا فيه إلى من أرشدنا الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى اتباعهم ، فيسعنا ما وسعهم ، فقد أكمل الله لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، فله الحمد والمنة سبحانه[1].

فيا عبد الله ! كن سلفيا على الجادة ! طريق السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم ، فمن بعدهم ، ممن قَفَى أثرهم في جميع أبواب الدين ، من التوحيد والعبادات ، ونحوها متميزاً بالتزام آثار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وتوظيف السنن على نفسك وترك الجدال والمراء والخوض في علم الكلام ، وما يجلب الآثام ، ويصد عن الشرع .

قال الذهبي رحمه الله تعالى في السِّيَر :

(وصح عن الدارقطني أنه قال : ما شيء أبغض إليّ من علم الكلام .

قلت : لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدال ، ولا خاض في ذلك ، بل كان سلفياً) اهـ .

وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة المتبعون آثار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

(وأهل السنة : نقاوة المسلمين ، وهم خير الناس للناس) اهـ .

فالزم السبيل ﴿ **ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾[2].

قارئي الكريم : دونك هذا الكتاب فاجن ثماره الزكية .

الناشر

عماد بن صابر المرسي

مكتبة التوعية الإسلامية

غرة ذي الحجة ١٤٠٩ هـ

---

(١) بتصرف البيان والإشهار ص ١٩ .

(٢) حلية طالب العلم ص ٨ للشيخ بكر أبو زيد .

مقدمـــــة

الحمدُ لله الواحدِ ، العزيزِ المَاجدِ ، المتفردِ بالتوحيدِ ، والمتمجدِ بالتمجيدِ ، الذي لا تبلغه صفاتُ العبيد ، ليس له منازع ولا نديد ، وهو المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، جَلَّ عن اتخاذ الصواحب والأولاد ، لم تغرب عنه خفيات الأمور ، ولم تغيره سوالف صِروف الدهور ، خلق الأشياء بقدرته ودبرها بمشيئته ، وقهرها بجبروته ، وذللها بعزته ، فذل لعظمته المنكرون ، واستكان لعز ربوبيته المتكلمون ، وانقطع دون الرسوخ في علمه العالمون .

فنحمده كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ومستحقه ، وكما حمده الحامدون من جميع خلقه ، ونستعينه استعانة من فوض أمرَه إليه ، وأُقرَّ أنه لا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه ، ونستغفره استغفارَ مُقِرٍّ بذنبه ، معترف بخطيئته .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقرارا بوحدانيته وإخلاصا لربوبيته .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ونبيه وأمينه وصفيه ، أرسله إلى خلقه بالنور الساطع ، والسراج اللامع والحجج الظاهرة ، والآيات الباهرة ، فبلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته وجاهد في الله حق جهاده ، حتى تمت كلمة الله عز وجل ، وظهر أمره ، وانقاد الناس للحق خاضعين ، حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله عليه من قائد إلى هدى مبين ، وعلى آل بيته الطيبين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وأصحابه الغُرِّ الميامين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعـــد

فإن أهل كل زمان يحتاجون أن يبلغهم الحق بلغتهم ، وبالطريقة التي تبلغها

عقولهم ، وتوافق هممهم ، ولو نظرت في كتب المتقدمين لرأيتها على ما تضمنته من الحق والصواب من الإسهاب والتدقيق ما تتقاصر دونه همم أكثر المعاصرين ، وتقصر دون فهمها عقول الطالبين ، ثم إن كثيرا من مؤلفات المتأخرين قد تجانب الصواب في بعض الأبواب ، أو تكون من البساطة في عرض العقيدة بما لا يوافق طلاب العلم الشريف ، فرأيت أن أجمع كتابا في العقيدة السلفية من كتب المتقدمين وكتابات المحققين من المتأخرين ، يسهل تناوله لكل طالب ، ويقرب الحق لكل راغب ، وعلم التوحيد هو أول ما يجب معرفته بالدليل ، والتوحيد مأخوذ من أن الله واحد سبحانه وتعالى ، والحق أن معرفة الإله الواحد هو صلب هذا العلم حسب ما عرفنا الله عز وجل بنفسه ، وما عرفنا به رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو أشرف العلوم ، إذ شرف العلم بشرف المعلوم ، وليس أحدٌ أشرفَ من الله عز وجل .

وهو علم الأصول ، وهو الفقه الأكبر ، وهو كذلك علم العقيدة ، والعقيدة هي التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة ، فهي بمعنى الإيمان ، ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أمور : –

أولا : الإيمان بالله تعالى ، بربوبيته وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وباستحقاقه وحده لجميع ألوان العبادة ، لا إله غيره ولا ربَّ سواه .

ثانيا : الإيمان بملائكة الله تعالى التي أخبرنا بها ، وما ثبت عن رسوله المعصوم صلى الله عليه وعلى آله وسلم من صفاتها ووظائفها .

ثالثا : الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله الكرام جملة وتفصيلا .

رابعا : الإيمان بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم الله لهداية خلقه

خامسا : الإيمان باليوم الآخر : ويشمل ذلك الإيمان بالموت وما بعده من حياة البرزخ والقيامة والجنة والنار .

سادسا : الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره .

وعمدة هذا التفريع حديث جبريل المشهور حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسأله عن الإيمان فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** »[1].

وهذه الأمور الستة هي أركان الإيمان ، وهي الأصول التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، بل وكل رسول قبله كما قال الله عز وجل : ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وما وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ . (الشورى : ١٣)

قال الشيخ سيد سابق حفظه الله : وما شرعه الله لنا من الدين ، ووصانا به كما وصى رسله السابقين هو أصول العقائد وقواعد الإيمان ، لا فروع الدين ولا شرائعه ، فإن لكل أمة من التشريعات العملية ما يتناسب مع ظروفها وأحوالها ومستواها الفكري والروحي : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجا** ﴾ . (المائدة : ٤٨) .

ثم قال حفظه الله : « وإنما جعل الله هذه العقيدة عامة للبشر ، وخالدة على الدهر ، لما لها من الأثر البين ، والنفع الظاهر في حياة الأفراد والجماعات .

فالمعرفة بالله من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة وتوقظ حواس الخير ، وتربي ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب معالي الأمور وأشرافها ، وتنأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفسافها .

والمعرفة بالملائكة تدعو إلى التشبه بهم ، والتعاون معهم على الحق والخير ، كما تدعو إلى الوعي الكامل واليقظة التامة ، فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو حسن ، ولا يتصرف إلا لغاية كريمة .

---

(١) رواه البخاري (١/١٤ح١) الإيمان ، ومسلم (١/١٥٧-١٦٠) الإيمان .

والمعرفة بالكتب الإلهية إنما هي عرفان بالمنهج الرشيد ، الذي رسمه الله للإنسان كي يصل بالسير عليه إلى كماله المادي والأدبي .

والمعرفة بالرسل إنما يقصد بها ترسم خطاهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والتأسي بهم ، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة ، والحياة النظيفة التي أرادها الله للناس .

والمعرفة باليوم الآخر هي أقوى باعث على فعل الخير وترك الشر .

والمعرفة بالقدر : تزود المرءَ بقوى وطاقات تتعدى كل العِقاب والصعاب وتصغرُ دونها الأحداث الجِسَام .

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك ، وتزكية النفوس ، وتوجيهها نحو المثل الأعلى ، فضلا عن أنها حقائق ثابتة ، وهي تعد من أعلى المعارف الإنسانية ، إن لم تكن أعلاها على الإطلاق »[1].

قلت : وهي قبل ذلك وبعده أول واجب على العبد نحو ربه الجليل عز وجل أن يتعرف على ربه كما عرفنا بنفسه وكما عرفنا به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم يفرد ربه عز وجل بجميع ألوان العبادة دون من سواه ، قال الله عز وجل : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون** ﴾ . (الذاريات : ٥٦) .

ونحن في هذا الوقت الذي ننادي فيه بالتصفية والتربية تشتد الحاجة فيه إلى كتاب منهجي عن العقيدة يتربى عليه الشباب المسلم ، فالتوحيد هو الأصل الأول من الأصول العلمية للدعوة السلفية ، والأمر بالتوحيد هو أول أمر في كتاب الله قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُمْ والَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ . (البقرة : ٢١) .

وقد اشترط الله عز وجل على جميع المسلمين أن تكون عقيدتهم مطابقة لعقيدة

(١) العقائد الإسلامية لسيد سابق ص (٩،١٠) بتصرف .

الصحابة رضي الله عنهم فقال تعالى : ﴿ **فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ آهْتَدَوا** ﴾ . (البقرة : ١٣٧) ، فيجب على كل مسلم أن يتعلم العقيدة الصحيحة السلفية التي مضى عليها سلف الأمة رضي الله عنهم .

وقد عمدت بفضل الله عز وجل وتوفيقه إلى جمع هذا المصنَّف أُقَرِّبُ به عقائد السلف إلى طلاب العلم الشريف ، وطريقتي في البحث أن أبدأ في كل قضية من قضايا التوحيد بذكر العقيدة السلفية بأوجز عبارة وألطف إشارة ، ثم أذكر أدلة ذلك من صريح الكتاب وصحيح السنة وأستأنس بآثار سلف الأمة ، وربما أذكر عقائد المخالفين لدحض شبههم ودفع باطلهم ، وقبل أن أوضح أصول الإيمان الستة بدأت بذكر قضية الإيمان والكفر ، والله تعالى هو الموفق للصواب ، والهادي للرشاد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد بذلت جهدا أحتسبه عند الله عز وجل في تحقيق المرفوع من الأخبار ولا أدعي أنني استوعبت مواضع الأحاديث في كتب السنة ، وإنما اقتصرت في الغالب على الصحيحين إن كان الحديث فيهما أو بقية الكتب الستة وربما زدت على ذلك بحسب ما توفر لدى من المراجع الحديثية وهمة البحث ، والله يغفر لي تقصيري وزللي وينفعني يوم القيامة بصالح عملي ، وأسميت هذا الكتاب المبارك :

« الثمراتُ الزَّكِيَّةُ في العقائد السَّلَفِيّة »

وهو اسم يوافق مسماه ، حيث إنني جمعت فيه أزكى وأطيب ما وقفت عليه من مصنفات العلماء السلفيين السابقين منهم واللاحقين . فمن كان شحيحاً بدينه ، حريصا على يقينه ، فعليه أن يصرف ساعة يسيرة من أوقاته الشريفة في الخوض في هذا الكتاب ومبانيه ، ويتخذ زادا كافيا شافياً من معانيه .

والله يهدينا وإخواننا المسلمين إلى صراطه المستقيم ، ويجمع بيننا وبين السلف الصالحين في أعلى عليين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الإيمــان والكفــر

الإيمان لغة : هو التصديق.قال إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** ﴾ . (يوسف : ١٧) .

والإيمان في الشرع : هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وهذا ما أجاب به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جبريل عليه السلام .

والإيمان شرعا يتضمن القول والعمل ، فهو اعتقاد وقول وعمل ، اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح ، والدليل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان قول الله عز وجل : ﴿ **وَمَا كَانَ الله لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُمْ** ﴾ . (البقرة : ١٤٣) ، أي صلاتكم إلى المسجد الأقصى كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما ، وقوله عز وجل : ﴿ **لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ والمَلائِكَةِ والكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى المَالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى والمَسَاكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ والمُوفُونَ بعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا والصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ** ﴾ . (البقرة : ١٧٧) .

وفسر الصديق رضي الله عنه البر بالإيمان فدخل في مسمى الإيمان أعمال القلب والجوارح ، والدليل من السنة قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبةٌ من الإيمان** »[1]. وسيأتي إن

(١) رواه البخاري (٥١/١) الإيمان بلفظ (بضع وستون) ، ومسلم (٦/٢) الإيمان واللفظ له .

شاء الله مزيد من الأدلة في مباحث هذا الباب ، وقد بوب البخاري أكثر أبواب كتاب الإيمان في بيان دخول الأعمال في مسمى الإيمان ، والإيمان يشمل الدين كله ، وحينئذٍ لا فرق بينه وبين الإسلام وذلك حينما ينفرد أحدهما عن الآخر ، أما إذا آقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان وعمل الجوارح ، ويصدر من المؤمن كامل الإيمان وضعيف الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ **قَالَت الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ . (الحجرات : ١٤) . ومن المنافق كذلك ، لكن يسمى مسلما ظاهرا ولكنه كافر باطناً .

ويفسر الإيمان بالاستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله ، ولا يصدر إلا من المؤمن حقا كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقناهُم يُنْفِقُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقَّاً** ﴾ .
(الأنفال : ٢ -٤)

وبهذا المعنى يكون الإيمان أعلى ، فكل مؤمن مسلم ولا عكس .

الإيمان يزيد وينقص :

قال ابن عبد البر : وعلى أن الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء وأهل الفُتيا في الأمصار ، ومن الأدلة على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ **لِيَزْدَادُوا إِيْمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ . (الفتح : ٤) ، وقوله عز وجل : ﴿ **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَاناً** ﴾ . (المدثر : ٣١) ، وقوله عز وجل : ﴿ **وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيما** ﴾ . (الأحزاب : ٢٢) .

وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم للنساء : « **ما رأيت من ناقصات**

عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي العقول منكن »[1].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى : باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله** »[2].

قال الشيخ حافظ بن أحمد : وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم وأن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولى[3].

تفاضل أهل الإيمـان

والناس متفاوتون فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل وأدناهم المُخَلِّطُون من أهل التوحيد ، وبين ذلك مراتب ودرجات لا يحيط بها إلا الله عز وجل الذي خلقهم ورزقهم ، وكما يتفاوتون في مبلغ الإيمان في قلوبهم يتفاوتون في أعمال الإيمان الظاهرة ، بل والله يتفاضلون في عمل واحد يعمله كلهم في آن واحد وفي مكان واحد ، والأدلة على ذلك قوله عز وجل : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله** ﴾ . (فاطر : ٣٢) ، وقوله عز وجل : ﴿ **وَكُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً ، فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ المَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْئَمَة ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُون** ﴾ . (الواقعة : ٧ - ١١) .

---

(١) رواه البخاري (٤٠٥/١) الحيض ، وروى مسلم (أصله دون قوله : « **ما رأيت من ناقصات** ») . الخ (١٧١/٣) العيدين ورواه النسائي (١٨٧/٣) العيدين كذلك ، ورواه الترمذي (٨٥/١٠) الإيمان .

(٢) الترمذي (٨٢/١٠،٨٣) الإيمان وقال : هذا حديث صحيح ولا نعرف لأبي قِلابة سماعا من عائشة ، ورواه الحاكم (٣/١) الإيمان وقال:صحيح على شرط مسلم وصححه الذهبي في تلخيصه .

(٣) معارج القبول (٤٠٧/٢) .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليَّ وعليهم قمصٌ فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض عليَّ عمر وعليه قميص يجره** » . قالوا فما أولته يا رسول الله ؟ قال : « **الدين** »[1].

وقال ابن أبي مُليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل[2].

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من رأى منكم منكرا ، فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** »[3].

فاعل الكبيرة والمصر على الصغيرة مؤمنٌ ناقص الإيمان :

قال الطحاوي رحمه الله : « وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في النار لا يخلدون فيها إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه : ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذَٰلِكَ لِمَن يَّشَاء** ﴾ . (النساء : ٤٨) ، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته ، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته » ، فعلى ذلك فاعل الكبيرة والمصر على الصغيرة لا ينفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه ، ولا يوصف

---

(١) رواه البخاري (٤٣/٧) فضائل الصحابة ، ومسلم (١٥٩/١٥) فضائل الصحابة .

(٢) رواه البخاري تعليقا مجزوما به (١٠٩/١) وقال في تغليق التعليق: رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه ورواه محمد بن نصر المروزي ورواه البخاري في التاريخ الكبير (١٣٧/٥) — بتصرف (٥٢/٢،٥٣) .

(٣) رواه مسلم (٢٢/٢–٢٥) الإيمان ، وأبو داود (٤٩٢/٣) العيدين ، والترمذي (١٩/٩) الفتن ، والنسائي (١١١/٨) الإيمان .

بالإيمان الكامل ، ولا يحكم عليه في الآخرة بجنة ولابنار بل هو في مشيئة الله عز وجل ، وإن مات بغير توبة ، إن شاء الله عز وجل غفر له بفضله ورحمته ، وإن شاء عذبه بعدله وحكمته قال الله عز وجل : ﴿ **وإنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتلوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبغي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله** ﴾ . (الحجرات : ٩) .

فسمى الله عز وجل كلا الطائفتين المقتتلتين مؤمنة . وقال عز وجل : ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيه شيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ** ﴾ . (البقرة : ١٧٨) ، فالأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي .

متى يصير المؤمن كافرا ؟ (نواقض الإيمان) :

قال الإمام الطحاوي رحمه الله :

« ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله » إلى أن قال : « وَالأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام ، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة ، ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه » .

قال الدكتور محمد نعيم يس :

وبيان هذه القاعدة أن الشارع قد جعل للإيمان والإسلام مدخلا وبابا يدخل منه ، وهو كما علمت الإقرار والتصديق بالشهادتين ، فمن ولج إلى الإسلام من هذا الباب فإنه لا يخرج إلا أن يصدر عنه قول أو عمل أو اعتقاد يناقض إقراره السابق وتصديقه بالشهادتين ، وقد علمت فيما تقدم أن معنى شهادة « أن لا إله إلا الله » توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وتوحيده في ألوهيته وعدم توجه الإنسان بالعبادة إلى غيره سبحانه ، وأن معنى شهادة « محمد رسول الله » صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإقرار والتصديق بكل ما جاء به محمد

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الشرائع ، وما أخبر به من أمور الغيب وأنه من عند ربه عز وجل ، والاعتراف له بجميع أخلاق وصفات النبوة من صدق وأمانة وفطانة وتبليغ وعصمة وغير ذلك ، وبعد هذا فإن من قال قولا أو فعل فعلا يدل على إنكار شيء مما تقدم يكون قد نقض إقراره السابق بالشهادتين ، وخرج من دين الله سبحانه ، فإن كان قوله أو فعله مطابقا لحقيقة نيته واعتقاده كان كافرا في الدنيا والآخرة فيعامل بأحكام الكفار في الدنيا وتطبق عليه أحكام الردة والتي من أهمها الاستتابة ثم القتل إن لم يتب ، فيكون من المخلدين في نار جهنم إن مات على هذا الحال .

وأما إذا أذنب المؤمن وقال قولا أو فعل فعلا يعد في الشرع معصية لله تعالى فلا يكون هذا بمجرده دليلا على خروجه من الإيمان ، وإن لم يتب منه ، إن لم يكن فيه ما يدل على نقضه الشهادتين أو إحداهما وهو في مشيئة الله إن شاء عذبه بذنبه ومعصيته وأدخله النار ثم مآله إلى الجنة لكثرة الأحاديث الصحيحة الدالة على أنه يخرج من النار من مات وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وإن شاء الله سبحانه غفر له ، ولم يعذبه وأدخله الجنة بغير عذاب في النار ، فإن الله سبحانه يقول : ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ . (النساء : ٤٨)[(١)]

فهذه الآية ولا شك في حق من مات على غير توبة ، لأنه عز وجل قَيَّدَ وخصص ، قيد المغفرة وخصصها بما دون الشرك ، أما قوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمِ** ﴾ . (الزمر : ٥٣) ، ففي حق التائبين أطلق المغفرة وعمم بها جميع الذنوب فالمشرك إذا تاب قُبلت توبته والله أعلى وأعلم[(٢)] .

---

(١) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ص (٩٩،١٠٠) دار عمر بن الخطاب .
(٢) يمكن مراجعة بحث العذر بالجهل للمصنف .

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحوله عصابة من أصحابه : « **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه** » . فبايعناه على ذلك[1].

قال في معارج القبول :

اعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنة النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات :

الأولى : قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة ولا تمسهم النار أبدا .

الطبقة الثانية : قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وتكافأت فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا ، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة .

الطبقة الثالثة : قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش ومعهم أصل التوحيد ، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم ، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم ، وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولغيره من بعده من الأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه[2].

---

(١) رواه البخاري (٦٤/١) الإيمان .

(٢) معارج القبول (٤٢٢/١،٤٢٣) ، باختصار .

الاستثناء في الإيمان :

الاستثناء في الإيمان أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله .

قال الشيخ محمد صالح العثيمين :

وقد اختلف الناس فيه على ثلاثة أقوال :

أحدها : تحريم الاستثناء وهو قول المرجئة والجهمية ونحوهم ، ومأخذ هذا القول : أن الإيمان شيء واحد يعلمه الإنسان من نفسه ، فإن استثنى منه كان دليلا على شكه ، ولذلك كانوا يسمون الذين يستثنون في الإيمان « شكاكا » .

والثاني وجوب الاستثناء : وهذا القول له مأخذان :

١ – أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه ، فالإنسان إنما يكون مؤمنا أو كافرا حسب الموفاة ، وهذا شيء مستقبل غير معلوم فلا يجوز الجزم به .

٢ – وأن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات وهذا لا يجزم به الإنسان من نفسه ، ولو جزم به كان قد زكى نفسه وشهد لها بأنه من المتقين الأبرار .

والقول الثالث : التفصيل فإن كان الاستثناء صادرا عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا محرم ، بل كفر ، لأن الإيمان جزم والشك ينافيه ، وإن كان صادرا عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقق الإيمان قولا وعملا واعتقادا فهذا واجب خوفا من هذا المحظور .

وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم على الاستثناء بل لابد من التفصيل السابق والله أعلم[١].

---

(١) رسائل في العقيدة – رسالة فتح رب البرية بتلخيص الحموية (١١٧) باختصار .

الإيمان بالله عز وجل

وهو الإيمان بتفرد الله عز وجل بالربوبية واتصافه بصفات الكمال التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويسمى بالتوحيد العلمي الخبري الاعتقادي ، والنوع الثاني وهو توحيد الألوهية ويسمى بالتوحيد الطلبي القصدي الإرادي ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه وحده .

توحيد الربوبية

ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ولا رب غيره ، وبعبارة أخرى : هو الإقرار بأن الله هو الخالق لكل شيء وهو المدبر ، وهو الذي يعطي ويمنع ، ويميت ويحيي ، لا يشاركه أحد في فعله سبحانه وتعالى .

معنى الرب :

الرب يأتي عند العرب بثلاثة معاني :

الرب بمعنى المربي : من التربية والتعهد والإصلاح .

الرب بمعنى المالك : مثل قول عبد المطلب أنا رب هذه الإبل وللبيت رب يحميه .

الرب بمعنى السيد أو الحاكم : كقول يوسف عليه السلام للرسول الذي جاءه بالسجن : ﴿ **ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ** ﴾ . (يوسف : ٥٠) ، ولا يطلق الرب بالألف واللام إلا على الله عز وجل ، فيجوز أن تقول رب الدار ، ولا يجوز أن تقول الرب بإطلاق .

وهذه المعاني الثلاثة في لغة العرب بالنسبة لله عز وجل كلها حق ، وثابتة له عز وجل ، فهو رب الناس أي المربي لهم بنعمه ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ** ﴾ . (الأعراف : ٥٤) .

فبين الرب تعالى أنه هو المتعهد المصلح لشأن هذا العالم ، فالشمس والقمر والنجوم الله ربها والمتعهد لنظامها سبحانه وتعالى ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا** ﴾ . (هود : ٦) .

ومن المعنى الثاني قول الله عز وجل : ﴿ **ربُّ العَرْشِ العَظِيمِ** ﴾ . (النمل : ٢٦) ، أي مالكه وقوله عز وجل : ﴿ **رَب النَّاسِ** ﴾ . (الناس : ١) ، أي مالكهم .

فالله عز وجل يملك كل شيء ويتصرف فيه كيف يشاء ﴿ **وله أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً** ﴾ . (آل عمران : ٨٣) ، ومن المعنى الثالث : وهو الرب بمعنى السيد أو الحاكم قول يوسف عليه السلام : ﴿ **يَاصَاحِبَي السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّار** ﴾ . (يوسف : ٣٩) ، ثم قال : ﴿ **إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** ﴾ . (يوسف : ٤٠) ، فجعل الحكم من صفات الربوبية .

فهذه المعاني الثلاثة نستحضرها ونحن نثبت لفظ الرب على الله تبارك وتعالى[١].

الأدلة على وجود الرب تبارك وتعالى :

الكون كله صامته وناطقه ومتحركه وساكنه مقرّ ومصدقٌ ومعترفٌ ومؤمنٌ وناطقٌ بوجود الله تعالى ، إلا زنادقة الأمم وملاحدة الشعوب قال جل وعلا : ﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ** ﴾ . (إبراهيم : ١٠) .

قال ابن القيم:وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء»وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيءٌ ... إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إلى دَلِيلِ

(١) باختصار من شرائط الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في العقيدة .

دل على وجود الرب تبارك وتعالى الفطرة والعقل والشرع والحس .

أما دلالة الفطرة : فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بالخالق من غير سبق تفكير أو تعلم ، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** »[1]، ولم يقل أو يسلمانه لأنه مسلم بفطرته مقر بالتوحيد بفطرته قال الله عز وجل : ﴿ **فِطْرَتَ اللهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّيْنُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ . (الروم : ٣٠) ، وقيل:هذه الفطرة التي تقر بالتوحيد هي الأثر من أخذ الميثاق الذي أخبر الله عز وجل عنه في سورة الأعراف بقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنا ...** ﴾ . آية الميثاق (الأعراف : ١٧٢) .

أما دلالة العقل على وجود الله تبارك وتعالى :

فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ومحال أن توجد نفسها قال الله عز وجل : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ** ﴾ . (الطور : ٣٥،٣٦) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ **أَم خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ** ﴾ . أي من غير رب ، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم .

ومعناه أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق ، وذلك لا يجوز في العقل ، فإن أنكروا الخالق لم يجز لهم أن يوجدوا ، وقوله : ﴿ **أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ**﴾. وذلك في البطلان أشد لأن مَنْ لا وجود له كيف يخلق، ﴿**أَم خَلَقُوا**

---

(١) البخاري (٢١٩/٣) الجنائز ، ومسلم (٢١٠/١٦) القدر ، ومالك رقم (٥٢) الجنائز ، وأبو داود (٤٦٨٩) السنة .

﴿ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ . وذلك في البطلان أشد وأشد ، فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد بنفسه فضلا عن أن يكون موجداً لغيره .

وقد سئل أعرابي : ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ فقال : ياسبحان الله إن البعر ليدل على البعير ، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير ، فسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير .

فأدل شيء على وجود الخالق جل وعلا وجود المخلوق .

قال عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُون أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ ﴾ . (الواقعة : ٥٨،٥٩) ، وقال عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ . (الواقعة : ٦٣،٦٤) .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ ﴾ . (يونس : ٣١) .

وكثيرا ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرة .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ ﴾ . (يونس : ١٠١) .

قال البيهقي : يعني والله أعلم من الآيات الواضحات والدلالات النيرات وهذا لأنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك واعتبرتها بفكرك ، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد ، فالسماء مرفوعة كالسقف المرفوع ، والأرض مبسوطة كالبساط ، والنجوم منضودة كالمصابيح ، والجواهر مخزونة كالذخائر ، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمآرب ، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب مستعملة في المرافق ، والإنسان كالملك البيت المخول

لما فيه ، وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام وأن له صانعا حكيما تام القدرة بالغ الحكمة[1].

وقال العثيمين حفظه الله : « فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد أحاطت به الحدائق وجرت بينها الأنهار وملىء بالفرش والأسرة وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته وقال لك : إن هذا القصر بما فيه من كمال قد أوجد نفسه ، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد ، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه وعددت حديثه سفها من القول ، أفيجوز بعد ذلك كله أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر قد أوجد نفسه أو وجد صدفَة بدون موجد »[2].

وقال ابن أبي العز رحمه الله : « والمشهور عند أهل النظر إثباته ، (أي وحدانية الرب عز وجل) بدليل التمانع وهو أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته ، فإما أن يحصل مرادهما أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثاني ممتنع لأنه يلزم منه خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع ، ويستلزم أيضا عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلها ، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجز لا يصلح للألوهية ، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا** ﴾[3].
(الأنبياء : ٢٢) » .

ومن الأدلة العقلية كذلك ما قرره الله عز وجل بقوله : ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ**

---

(١) الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة (ص ٧) .
(٢) رسائل في العقيدة لابن عثيمين ص (١٢) .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص (١٤) .

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إلهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض ﴾ . (المؤمنون : ٩١).

قال شارح الطحاوية :« فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر ، فإنَّ الإِلَه الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ، ويدفع عنه الضر ، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في مُلكه لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة ، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرد هو بالملك والألوهية دونه فعل ، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه ، فلابد من أحد ثلاثةِ أمور : إما أن يذهب كلُ إله بخلقه وسلطانه ، وإما أن يعلو بعضهم على بعض ، وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا يتصرفون فيه ، بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه .

وانتظام أمر العالم كله ، وإحكام أمره أدل دليل على أن مدبره إله واحد ، وملك واحد ، ورب واحد ، لا إله للخلق غيره ، ولا رب لهم سواه ، كما قد دل دليل التمانع على أن خالق العالم واحد لا رب غيره ولا إله سواه ، فذلك تمانع في الفعل والإيجاد ، وهذا تمانع في العبادة والإلهية ، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافيان ، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان[1]».

أما دلالة الشرع على وجود الله تبارك وتعالى :

فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك قال الله عز وجل : ﴿ ألا لَهُ الخلْقُ وَالأمْرُ تَبَارَكَ الله رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ . (الأعراف : ٥٤) ، وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(١) شرح الطحاوية (١٨،١٩) .

﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ . (البقرة : ٢١، ٢٢) . ومن أدلة الشرع كذلك أن ما جاءت به الكتب السماوية من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه ، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به .

أما دلالة الحس على وجود الله تعالى :

يقول الشيخ العثيمين فمن وجهين : أحدهما أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين ، وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى ، قال تعالى : ﴿ **وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ** ﴾ . (الأنبياء : ٧٦) ، وقال تعالى : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ** ﴾ . (الأنفال : ٩) .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن أعرابيا دخل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب فقال:يا رسول الله : هلك المال وجاع العيال ، فادع الله لنا فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال ، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطرَ يتحادر على لحيته ، وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال يا رسول الله: تهدم البناء وغرِق المال ، فادع الله لنا . فرفع يديه وقال : « **اللهم حوالينا ولا علينا** » . فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت[1].

وما زالت إجابة الداعين أمرا مشهودا إلى يومنا هذا لمن صَدَقَ اللجوء إلى الله تعالى .

الوجه الثاني : أن آيات الأنبياء التي تسمى « المعجزات » ويشاهدها الناس

---

(١) رواه البخاري (٢/٥٠٧، ٥٠٨) الاستسقاء ، ومسلم (٦/١٩١-١٩٣) صلاة الاستسقاء ، والنسائي (٣/١٥٤، ١٥٥) الاستسقاء باختصار .

أو يسمعون بها برهان قاطع على وجود مرسلهم وهو الله تعالى ، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر ، يجريها الله تعالى تأييدا لرسله ونصرا لهم ، مثال ذلك آية موسى حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر فضربه فانفلق طريقا يابسا والماء على جانبيه كالجبال ، قال تعالى : ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾ . (الشعراء : ٦٣) ، ومثال ثان : آية عيسى حين كان يحيى الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله قال تعالى عنه : ﴿ **وأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ** ﴾ . (آل عمران : ٤٩) ، وقال : ﴿ **وَإِذ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي** ﴾ . (المائدة : ١١٠) .

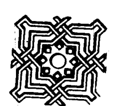
ومثال ثالث لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: حين طلبت منه قريش آية فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين ، فرآه الناس وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَتْ السَّاعةُ وانْشَقَّ الْقَمَر ، وَإِنْ يَرَوا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمر** ﴾ . (القمر : ١، ٢) ، فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييدا لرسله ونصرا لهم تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى[1].

ثم قال حفظه الله[2]: ولم يعلم أن أحدا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا أن يكون مكابرا عنيدا غير معتقدٍ بما يقول كما حصل من فرعون حين قال لقومه : ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾ . (النازعات : ٢٤) ، وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾ . (القصص : ٣٨) ، لكن ذلك ليس عقيدة قال الله تعالى : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً** ﴾ (النمل : ١٤) وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاَءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورا** ﴾ . (الإسراء : ١٠٢) ، ولذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم

---

(١) رسائل في العقيدة ص (١٣) .
(٢) رسائل في العقيدة ص (١٤) باختصار .

به في الألوهية قال تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيْزُ العَلِيمُ** ﴾ . (الزخرف : ٩) ، وقال : ﴿ **وَلَئِنْ سأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ . (الزخرف : ٨٧) .



شرك الربوبيـة ومظاهـره في الأمـة الإسلاميـة

قال الجزائري ما ملخصه :

قد يبدو غريبا جداً بعد أن قدمنا أن مشركي العرب أيام البعثة المحمدية لم يكونوا يشركون في ربوبية الله تعالى أحدا من خلقه ، اعترافنا بوجود مظاهر لشرك الربوبية في الأمة الإسلامية اليوم ، غير أن هذا الاستغراب سيزول بمجرد وقوف المرء على مظاهر واضحة جلية في شتى مجالات حياة كثير من المسلمين :

١- اعتقاد كثير من عوام المسلمين أن هناك في الكون أقطابا وأبدالا من الأولياء والصالحين ، لهم قدر من التصرف معين في حياة الناس ، فهم يولون ويعزلون ، ويعطون ويمنعون ، ويضرون وينفعون ، وهو مظهر واضح للشرك في الربوبية ، لما فيه من اعتقاد التصرف والتدبير في الكون لغير الله تعالى أو له ولغيره سبحانه وتعالى .

٢- اعتقاد كثير من المنتسبين إلى العلم أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفا بعد موتهم ، وشاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل ورسخ في نفوس كثير من المسلمين ، حتى أصبحت الأضرحة والمشاهد والقبور ملاذَ كل خائف ومستشفى كل مريض ، حتى شاع بين العوام قول « إذا تعسرت الأمور ، عليكم بأصحاب القبور » .

٣- الرهبة من الجن والخوف منهم ، والاستغاثة بهم ، وتقديم القرابين لهم كالتي تذبح على حافات الآبار عند حفرها ، وعلى أعتاب المنازل عند إتمام بنائها ، فهذا شرك في الربوبية ، إذ الحامل عليه اعتقاد أن الجن لهم

تصرفات خارجة عن إرادة الله تعالى وتدبيره .

٤- تقديس المشايخ من رجال التصوف والطرقيين والمشعوذين ، وطاعتهم في غير طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقبول ما يشرعون لهم من البدع ، فهذا الخضوع والذل والطاعة المطلقة والتسليم التام لهم ليعد شركاً في ربوبية الله تعالى .

٥- الخضوع للحكام غير المسلمين ، والخضوع التام لهم ، وطاعتهم بدون إكراه منهم لهم ، حيث حكموهم بالباطل ، وساسوهم بقوانين الكفر والكافرين فأحَلُّوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فأطاعوهم في كل ذلك ، ولم ينكروا عليهم ، ولم يرفضوا لهم ويشهد لهذا حديث عدى بن حاتم الطائي الذي كان قد تنصر في الجاهلية ثم أسلم وسمع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقرأ قول الله تعالى في شأن أهل الكتاب : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحِداً لَا إِلَه إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ . (التوبة : ٣١) .

فأنكر عدى أن يكونوا عبدوهم فقال له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أليسوا يحلون لكم الحرام فتحلونه ؟ ويحرمون عليكم الحلال فتحرمونه ؟** » فقال : بلى . قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **فتلك عبادتهم** »[١]. اهـ[٢].

---

(١) رواه الترمذي (٥٠٩٣) التفسير وقال : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف . والحديث حسنه الشيخ الألباني في غاية المرام رقم (٦) وأحال الكلام عليه إلى تخريجه للمصطلحات « للمودودي » ، لكن قال الفهيد في النهج السديد إنه ضعيف ، وانظر النهج السديد رقم (٩٢) .

(٢) عقيدة المؤمن (٨١ — ٨٤) باختصار .

مناظرة ومحاورة :

ونختم هذا الباب في إثبات وجود الله والرد على الملاحدة بهذه المناظرة والمحاورة التي أوردها الشيخ صالح البليهى في كتابه عقيدة المسلمين قال تحت عنوان « مناظرة ومحاورة جرت بين مؤمن فقيه وبين ملحد حائر بائر » قال : قال الملحد للمؤمن ما معناه : أنت مؤمن بوجود الله ؟ قال : نعم ولا شك ولا ريب . قال : هل رأيته ؟ قال : لا . قال : هل سمعته ؟ قال : لا . قال : هل شممته أو لمسته ؟ قال : لا . قال : فكيف تؤمن به ؟ قال المؤمن الفقيه للملحد ما معناه: أنت عاقل ؟ قال : نعم . قال : هل رأيت عقلك ؟ قال : لا . قال : هل سمعته ؟ قال : لا . قال : هل شممته أو لمسته ؟ قال : لا . قال : كيف تزعم أنك عاقل ؟ .

﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ والله لا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِين ﴾ . (البقرة : ٢٥٨)[1] .

---

(١) عقيدة المسلمين للشيخ صالح البليهى (١٢٦/١،١٢٧) .

توحيد الأسماء والصفات

أسماء الله عز وجل هي الأعلام الدالة على الله عز وجل التي أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعوهُ بِهَا** ﴾ . (الأعراف : ١٨٠) ، وسميت حسنى لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول وقال تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الله أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَـٰنَ أَيًّاما تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى** ﴾. (الإسراء : ١١٠) .

وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الله الَّذِي لا إِلَهَ إِلّا هُوَ عَالِمُ الغَيْب وَالشَّهَادةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحيمُ ، هُوَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيْزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ الله الخَالِقُ البَارِىءُ المُصَوِّر لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْض وَهُوَ العَزِيْزُ الحَكِيمُ** ﴾ . (الحشر : ٢٢،٢٣،٢٤) .

وتوحيد الله في أسمائه يقتضي الإيمان بكل اسم سمى الله به نفسه ، وبما دل عليه هذا الاسم من معنى ، وبما تعلق بهذا الاسم من آثار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إنَّ لله تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ** »[1].

---

(١) رواه البخاري (٢١٤/١١) الدعوات بمعناه ، ومسلم (٦،٥/١٧) الذكر والدعاء ، ورواه الترمذي وابن ماجة وفيه زيادة ذكر الأسماء وقال ابن كثير في التفسير : والذي عَوَّلَ عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه أي مجموع من القرآن ومع ذلك فقد ذكره ابن حبان في صحيحه وحسنه النووي في أذكاره .

قواعد في الإيمان بأسماء الله عز وجل :

١- ينبغي أن نعتقد بأن أسماء الله عز وجل ليست منحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن ، بل ولا فيما علمه الرسل والملائكة وجميع المخلوقين ؛ لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **مَا أَصابَ أحداً قط هم ولا حزن فقال:اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ فِيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا** »[1].

٢- من أسماء الله تعالى ما لا يطلق عليه إلا مقترنا بمقابله فإن أطلق وحده أَوْهَمَ نقصا ، تعالى الله عن ذلك فمنها : المعطي المانع ، الضار النافع ، المعز المذل ، القابض الباسط ؛ إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك .

٣- المنتقم : لم يأت في القرآن إلا معها – ذو كقوله تعالى : ﴿ **عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** ﴾ . أو قصره بالمجرمين كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِيْنَ مُنْتَقِمُونَ** ﴾ .

---

(١) رواه أحمد (٣٧١٢) وأبو يعلى (ق ١/١٥٦) والطبراني في الكبير (١/٧٤/٣) وقال الألباني : وجملة القول:إن الحديث صحيح من رواية ابن مسعود وحده فكيف إذا انضم إليه حديث أبي موسى رضي الله عنهما وقد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم – الصحيحة ١٩٩ .

وقال الهيثمي : ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهمي وقد وثقه ابن حبان (١٣٦/١٠) مجمع الزوائد .

٤- وردت في القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة ، وهي فيما سبقت فيه مدح وكمال ، لكن لا يجوز أن يشتق لله تعالى منها أسماء ، ولا تطلق عليه في غير ما سيقت من آيات منها : ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ الله والله خَيْرُ المَاكِرِينَ** ﴾ . (آل عمران : ٥٤) .

و ﴿ **نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ** ﴾ . (التوبة : ٦٧) ، و ﴿ **الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ . (البقرة : ١٥) ، فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى ماكر ، ناسٍ ، مستهزئ ، أو نحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، فهذه الأسماء ليست ممدوحةً مطلقا بل تمدح في موضع وتذم في آخر .

٥- دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها ، مطابقة وتضمنا والتزاما ، فدلالة اسمه تعالى : «الرحْمَن» على ذاته عز وجل مطابقة ، وعلى صفة الرحمة تضمنا ، وعلى الحياة وغيرها التزاما .

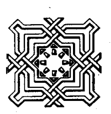
٦- اختلف العلماء في معنى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من أحصاها** » . فقال البخاري وغيره من المحققين معناه حفظها ، وأن إحدى الروايتين مفسرة للأُخرى .

وقال الخطابي : يحتمل وجوه : أحدهما أن يعدها حتى يستوفيها ، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بها كلها ، ويثنى عليه بجميعها، فيستوجب الموعود عليه من الثواب .

ثانيا : المراد بالإحصاء الإطاقة ، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها ، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بموجبها ، فإذا قال الرزاق وثق بالرزق ، وكذا سائر الأسماء .

قال ابن بطال : طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم **فيمرن العبد نفسه على أن يصح** له الاتصاف بها ، وما كان يخص الرب جل وعلا

كالجبار والمتكبر فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها ، وعدم التحلى بصفة منها ، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة ، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة[1].



(١) معارج القبول (١/٧٥-٧٦) لحافظ بن أحمد باختصار .

قواعد الإيمان بصفات الله عز وجل

١- تنزيه رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق ، دل على ذلك قوله عز وجل : ﴿ لَيْس كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ . (الشورى : ١١) ، وقوله عز وجل : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًا ﴾ . (مريم : ٦٥) ، وقوله عز وجل : ﴿ وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوا أَحَد ﴾ . (الإخلاص : ٤) .

٢- إثبات صفات الله عز وجل التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، دل على ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ . بعد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيء ﴾ . (الشورى : ١١) .

٣- قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية هذه الصفات لقوله عز وجل : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْما ﴾ . (طه : ١١) .

قال نعيم بن حماد شيخ البخاري : « من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسولُه كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل » .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله[1].

قال شيخ الإسلام رحمه الله : مذهب السلف في هذا الباب واضح كغيره من الأبواب وهو وسط بين التشبيه والتعطيل وهو تسليم كامل لله ورسوله وإيمان

(١) رسالة منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي بتصرف واختصار .

بنصوص الصفات من الكتاب والسنة ، وعدم التعرض لها بالتأويل بحيث تكون تلاوتها تفسيرها ، ولا يحاولون إدراك حقيقتها وكيفيتها ، لأن ذلك علم استأثر الله به ، ولا توهم عندهم تشبيها ولا تجسيما ، بل هي تدل على الحقائق التي تليق بالله وحده ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ . (الشورى : ١١) ، ﴿ **وَلَا يُحِيْطُونَ بِهِ عِلْماً** ﴾ . (طه : ١١) ، ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحد** ﴾ . (الإخلاص : ٤) ، ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا** ﴾ . (مريم : ٦٥) ، كانوا ينزهون الله تعالى على ضوء هذه النصوص ولا يكادون يفهمون من الإثبات التشبيه ، ولا من التنزيه التعطيل ، هذه هي القاعدة عندهم إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل . وإنما لجأ أهل الكلام إلى التعطيل والتأويل لأن قلوبهم المريضة قد فهمت الإثبات على أنه تشبيه لله عز وجل بخلقه فقالوا بالتعطيل والتأويل .

قال الأوزاعي : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره فوق العرش ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات ، وهذا التصريح من الأوزاعي يعني الإجماع (إجماع التابعين المبنى على إجماع الصحابة المستند إلى صريح الكتاب والسنة) . والإمام الأوزاعي أحد الأئمة الأربعة الذين كانوا في عصر تابع التابعين وهم مالك بن أنس بالحجاز ، والأوزاعي بالشام ، والليث بن سعد بمصر ، والثورى بالعراق ، وذكر الأوزاعي ذلك عندما ظهر جهم بن صفوان منكرا كون الله تعالى فوق العرش ، وناف لجميع صفات الرب تعالى .

وسئل الزهري ومكحول عن تفسير أحاديث الصفات فقالا أَمِرُّوهَا كما جاءت ، وروى مثل هذا الجواب عن الإمام مالك والثورى والليث فقالوا جميعاً في أحاديث الصفات أمروها كما جاءت بلا كيف .

والأوزاعي ومالك والليث والثوري أئمة المسلمين في عصر تابع التابعين ، فكيف يسع مسلما أن يترك طريقة أئمة المسلمين ويتبع غير سبيل المؤمنين الذين أعرضوا عن كتاب الله وذكره واتبعوا أهواءهم ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَىً مِنَ الله** ﴾ . (القصص : ٥٠) ، وقال رحمه الله : وجُماع الأمر أن

الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام ، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة .

قسمان يقولان : تجري على ظاهرها .

وقسمان يقولان : هي على خلاف ظاهرها .

وقسمان : يسكتون .

وأما الأولون فقسمان :

أحدهما : من يجريها على ظاهرها ، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين ، ومذهبهم باطل أنكره السلف وإليهم يتوجه الرد بالحق .

والثاني : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله ، كما يجرى ظاهر اسم العليم والقدير والرب والإله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله ، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابى وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وهو أمر واضح ، فإن الصفات كالذات ، فكما أن الذات ثابتة حقيقية من غير أن تكون من جنس المخلوقات ، فصفاته ثابتة حقيقية من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين وما أحسن ما قال بعضهم : إذا قال لك الجهمي كيف استوى ؟ أو كيف ينزل إلى السماء الدنيا ونحو ذلك ، فقل له : كيف هو في ذاته ؟ فإن قال لك لا يعلم ما هو إلا هو ، وكُنْه الباري تعالى غير معلوم للبشر . فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف ، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته ؟ وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك .

بل هذه المخلوقات في الجنة فقد ثبت عن ابن عباس أنه قال : ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء وقد أخبر الله تعالى أنه : ﴿ **فَلاَ تَعلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ . (السجدة : ١٧) ، وأخبر

النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك ، فما ظنك بالخالق سبحانه وتعالى .

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها :

قسم يتأولونها ويعنون المراد بمثل قولهم استوى بمعنى استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدر ، أو بمعنى ظهور نور العرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه ، إلى غير ذلك من تأويل اليد بالقدرة أو النعمة ، والعين بالرعاية ، والنفس بالذات ، وغير ذلك من معاني المتكلمين .

وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها وهم أهل التفويض في الكيفية والمعنى ، فلا يفهمون من آيات وأحاديث الصفات معنًى محدداً ، بل هي عندهم كالحروف المقطعة في أوائل السور — الم ، طس .

وأما القسمان الواقفان :

فقوم يقولون : يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك ، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم .

وقسم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث ، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات ، فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة للآيات والأحاديث الدالة على أنه سبحانه وتعالى فوق العرش ، ويعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دلالة لا تحتمل النقض[1]اهـ .

---

(١) مجموع الفتاوى (١١٣/٥– ١١٨) باختصار وتصرف .

قال ابن القيم رحمه الله في الشافية الكافية :

لَسْنَا نُشَبِّه رَبَّنَا بِصِفَاتِنَا … إِنَّ المُشَبِّهَ عَابِدُ الأَوْثَانِ
كَلا وَلَا نُخْليه مِنْ أَوْصَافِهِ … إِنَّ المُعَطِّلَ عَابِدُ البُهْتَانِ
مَن شَبَّهَ الله العَظِيمَ بِخَلْقِهِ … فَهُوَ الشَّبِيهُ بِمُشْرِكٍ نَصْرَانِي
أَوْ عَطَّلَ الرَّحْمَن مِنْ أَوْصَافِهِ … فَهُوَ الكَفُورُ وَلَيْسَ ذَا إِيْمَانِ

فصل في انقسام الصفات إلى قسمين :

قال السلمان حفظه الله :

صفات الله تنقسم إلى قسمين : صفات ذات ، وصفات فعل .

وضابط صفات الذات هي التي لا تنفك عن الله ، وضابط صفات الفعل هي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة .

مثال صفات الذات : النفس والحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه واليد والرجل والملك والعظمة والكبرياء والأصبع والعين والغنى والقدم والرحمة والحكمة والقوة والعزة والخبرة والوحدانية ، والجلال وهي التي لا تنفك عن الله .

مثال صفات الفعل : الاستواء والنزول والضحك والمجيء ، والعجب والفرح والرضى والحب والكره والسخط والإتيان والمقت والأسف وهذه يقال لها قديمة النوع حادثة الآحاد ، ويصلح أن تقول قبلها: إذا شاء[1].

بعض صفات الذات

١- صفة اليد والوجه والقدم والساق :

كان بسبب هذه الصفات كثير من الجدل ، وقد جاءت الآيات

---

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (٤٢٩،٤٣٠) .

والأحاديث تثبت هذه الصفات للرب الجليل سبحانه وتعالى ، فقد جاء إثبات صفة الوجه في قوله تعالى : ﴿ **كُل مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَام** ﴾ . (الرحمن : ٢٦ ــ ٢٧) .

وقوله عز وجل : ﴿ **وَمَا تُنْفِقُونَ إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله** ﴾ . (البقرة : ٢٧٢) .

وفي حديث البخاري : « **جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن يروا وجه الله إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن** »[١].

وكذلك وردت أدلة الكتاب والسنة على إثبات صفة اليد لله عز وجل فمن ذلك قوله عز وجل لإبليس لما امتنع عن السجود لآدم : ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِين** ﴾ . (ص : ٧٥) .

قال البيهقي في كتاب الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة :

وفي ذلك منع من حملها على النعمة والقدرة ، لأنه ليس لتخصيص التثنية في نعم الله ولا في قدرته معنى يصح ، لأن نعم الله أكثر من أن تحصى ولأنه خرج مخرج التخصيص ، وتفضيل آدم عليه السلام على إبليس وحملها على القدرة أو على النعمة يزيل معنى التفضيل لاشتراكهما فيها[٢].

وقال تبارك وتعالى : ﴿ **وقَالَت اليَهودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيدِيْهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يشَاء** ﴾ . (المائدة : ٦٤)

وقال عز وجل : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير** ﴾ . (الملك : ١) .

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث البخارى : « **المُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابرَ مِن نُورٍ عَلَى يَمِين الرَّحْمَن ، وَكِلْتَا يَدَيْه يَمين ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ**

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤/٨) التفسير ، ومسلم (١٦/٣١) الإيمان ، والترمذي (٩/١٠) صفة الجنة .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ص (٢٩،٣٠) .

وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُوا »[1].

قال البغوي : قال أبو سليمان الخطابي : ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليدين شمال ، لأن الشمال على النقص والضعف[2].

والحديث الآخر « **يد الله ملأى سحاء الليل والنهار ألم تروا ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه** »[3].

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** »[4].

وجاء في حديث البخاري أن حبرا من أحبار اليهود أتى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال له : يا محمد ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى يأخذ الخلائق على إصبع ، والجبال على إصبع ، والبحار على إصبع ، والأرض على إصبع ثم يحركها ويقول : أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قال : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيْعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِيْنِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ . (الزمر:٦٧)[5]

---

(١) رواه مسلم (٢١١/١٢) الإمارة ، والنسائي (٢٢١/٨) آداب القضاء ، وأحمد (١٦٠/٢) .

(٢) شرح السنة للبغوي : (٦٤/١٠) .

(٣) رواه البخاري (٤٠٣/١٣) التوحيد ، ومسلم (٨١،٨٠/٧) الزكاة ، والترمذي (١٧٣،١٧٢/١١) التفسير . وابن ماجة (٧١/١) المقدمة قال ابن الأثير : (يغيضها) : الغيض النقص ، وغاض الماء يغيض إذا نقص .

(٤) رواه مسلم (٧٦/١٧) التوبة ، وأحمد (٣٩٥/٤) ، (٤٠٤/٤) .

(٥) رواه البخاري (٥٥١،٥٥٠/٨) التفسير ، ومسلم (١٢٩/١٧) صفة القيامة، وأحمد (٣٩٢/١)،(٣٧٤/٤) . =

كذلك أتت الآيات والأحاديث بإثبات صفة الساق للرب الجليل منها قوله عز وجل : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ . (القلم : ٤٢) ، وفسره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث البخاري « **يكشف ربنا جل وعلا عن ساقه فيسجد من كان يسجد له في الدنيا ، وأما المنافق فإنه يعود ظهره طبقا واحدا** »[1].

كذلك أثبت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم صفة القدم لله عز وجل فقد ورد في البخاري ومسلم : « **أن الله تبارك وتعالى يُلقى أهل النار في النار فوجا فوجا فيقول** : « **هل امتلأت فتقول هل من مزيد فلا تزال كذلك حتى يضع رب العزة قدمه فيها فتقول قط قط** »[2]. يعني يكفيني يكفيني .

فالمعنى الصحيح الذي مضى عليه سلف الأمة رضي الله عنهم أن هذه الصفات صفات حقيقية فالله عز وجل يتصف بها حقيقة لا مجازا ، ولما نشأ علم الكلام نتيجة لاتصال المسلمين بثقافات الأمم الأخرى فأولوا الوجه بالذات ، واليد بالقدرة ، وقالوا عن الساق علامة على شدة الأمر كما تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها ، وقالوا في تفسير « **يضع قدمه فيها** » : السابقين من الناس .

والعقيدة السليمة هي العقيدة السلفية ، ومعنى السلفية التي مضى عليها سلف الأمة ، لم يخالف إلا بعض أئمة علم الكلام ، ولاشك أن الحق هو ما كان عليه

= قال ابن التين : تكلف الخطابي في تأويل الإصبع وبالغ حتى جعل ضحكه صلى الله عليه وعلى آله وسلم تعجبا وإنكارا لما قال الحبر ورد ما وقع في الرواية الأخرى « فضحك صلى الله عليه وعلى آله وسلم تعجبا وتصديقا » بأنه على قدر ما فهم الراوي قال النووي: وظاهر السياق أنه ضحك تصديقا له بدليل قراءته الآية التي تدل على ما قال الحبر والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه .

(١) رواه البخاري (٦٦٤/٨) التفسير ، ومسلم (٢٩،٢٨/٣) الإيمان ، وأحمد (١٧،١٦/٣) .

(٢) رواه البخاري (٥٩٥،٥٩٤/٨) التفسير ، ومسلم (١٨٣،١٨٢/١٨) .

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه ، فهم سلفنا يعني قدوتنا ، والذين جاءوا من بعدهم يستحيل أن يكونوا قد أتوا بعلم لم يصل إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه[1].

وينبغي أن ينتبه المسلم إلى أن إثبات هذه الصفات لله عز وجل ليس معناه تشبيه الله عز وجل بخلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فنحن نثبت هذه الصفات وقد تقرر في قلوبنا عند كل صفة ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ . (الشورى : ١١) ، والذين نفوا صفات الله عز وجل التي وصف الله بها عز وجل نفسه هم مشبهة ومعطلة في نفس الوقت ، فإن هذه الصفات لما وقعت في قلوبهم تشبه صفات المخلوقين لجأوا إلى نفيها فكانوا معطلة ، أما الصحابة رضي الله عنهم ومن نهج منهجهم فقلوبهم سليمة من أنجاس التشبيه ، فهم يثبتون الصفات لله عز وجل ، والتنزيه موجودٌ في قلوبهم ، وقد وَصف الله نفسه بالحياة فقال تعالى : ﴿ **الله لا إلَهَ إلَّا هُوَ الحَيُّ القَيوم** ﴾ . (آل عمران : ٢) ، ووصف بعض المخلوقين بالحياة فقال عز وجل : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَي** ﴾ . (الأنبياء : ٣٠) ، ولكن الصفة إذا وُصف الله عز وجل بها فهي كما يليق بجلاله وعظمته ، وإذا وُصف بها المخلوق فكما يليق بضعفه وعجزه ونقصه ، ووصَف الله عز وجل نفسه بالسمع والبصر في أكثر من آية من كتابه فقال : ﴿ **إنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ . (المجادلة : ١) ، ووصَف بعض خلقه بالسمع والبصر فقال : ﴿ **إنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيْعا بَصِيرا** ﴾ . (الإنسان : ٢) ، فليس السمع كالسمع ولا البصر كالبصر ، والذين نفوا صفات الله عز وجل بدعوى التنزيه ، وقعوا في تشبيه الله عز وجل بالجمادات الخسيسة التي لا تسمع ولا تبصر ، بل ليست فيها حياة بالكلية ، وقد أنكر الخليل على أبيه أنه يعبد ما لا يسمع ولا يبصر فقال : ﴿ **يا أَبَتِ لِمَ تعبدُ مَا لَا يَسْمَعُ**

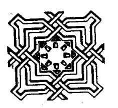
---

(١) شرائط العقيدة للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق بتصرف .

وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا ﴾ . (مريم : ٤٢) ، فالذين ينفون صفات الله عز وجل يجعلون لهذا الكافر حجة على إبراهيم الخليل فيمكنه أن يقول وأنت كذلك تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وعاب الله عز وجل على الكافرين أن آلهتهم لا تسمع دعاءهم ، ولو أسمعهم الله عز وجل فهم أعجز من أن يستجيبوا لهم .

قال تعالى : **﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾** . (فاطر : ١٤) .



ب - صفـــة العلـــم[1]

ومما أثبته الله عز وجل لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه عليم بعلم ، وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات ، وهو من صفاته الذاتية ، أزلي بأزليته ، وكذلك جميع صفاته ، فَعَلِمَ الله عز وجل ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو من أهل النار ، وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وجميع حركاتهم وسكناتهم ، أين تقع ، ومتى تقع وكيف تقع ، كل ذلك بعلمه ، وبمرأى منه ومسمع ، لا تخفى عليه خافية ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة قال الله عز وجل : **﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوه وَاعْلَمُوا أَنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** . (البقرة : ٢٣٥) ، وقال تعالى : **﴿ إنَّ الله لاَ يَخْفَى علَيه شَيءٌ فِي الأَرْضِ ولا في السَّمَاءِ ﴾** . (آل عمران : ٥) ، وقال تعالى : **﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو منه مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيه وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِين ﴾** . (يونس : ٦١) ، وقال تعالى : **﴿ والله بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيم ﴾** . (النساء : ١٧٦) ، وقال عز وجل :

---

(١) انظر معارج القبول لحافظ بن أحمد ومنهج جديد في دراسة التوحيد لعبد الرحمن عبد الخالق وشرائط العقيدة له كذلك .

﴿ الله يَعْلَمُ ماتَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحامُ وما تَزْدَاد وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقْدار ﴾ (الرعد : ٨) . وقال :

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ علماً ﴾ . (الطلاق : ١٢) .

وفي الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول : « **إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر** « ثم يسميه بعينه » **خيراً لي في عاجل أمرى وآجله** » ، أو قال : « **في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به** »[1].

وفي قصة موسى والخضر ، أن موسى قام خطيبا في بنى إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله ، وفيه يقول الخضر عليه السلام : « يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه » . إلى أن قال:فركبنا في السفينة قال : ووقع عصفور على حرف السفينة ، فغمس منقاره في البحر ، فقال الخضر لموسى : ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره « وفي رواية » إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر »[2].

---

(١) رواه البخاري (١١/١٨٣) ، وأبو داود (١٥٢٤) الصلاة ، والترمذي (٢/٢٦٢) الصلاة ، والنسائي (٦/٨٠،٨١) النكاح .

قال ابن الأثير : الاستخارة في الأمور طلب الخيرة فيها ، واستعلام ما عند الله تعالى فيها .

(٢) رواه البخاري (٦/٤٣١،٤٣٢) أحاديث الأنبياء .

فعلم الله عز وجل شامل لكل صغير وكبير في هذا الكون الذي نشاهد بعضه ويخفى علينا كثير منه ، ويشمل كذلك الغيب : ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدا إِلَّا مَن ارْتَضَى مِن رَّسُول** ﴾ . (الجن : ٢٦،٢٧) .

والغيب يشمل الماضي والمستقبل ، فعلم الله عز وجل أحاط بالأزل والأبد ، والملائكة لا تعلم الغيب كما أخبر عنهم عز وجل : ﴿ **سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنت العَلِيمُ الحَكِيمْ** ﴾ . (البقرة : ٣٢) .

كذلك الرسل لا تعلم الغيب كما أخبر عنهم عز وجل على لسان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **لَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوء** ﴾ . ولقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما أدري وأنا رسول الله** – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – **ما يفعل بي** »[1].

ومن الشواهد على ذلك « حادثة بئر معونة » الوفد الذي طلب عددا من القراء من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليعلموهم دين الله ، فأرسل معهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثمانين من القراء فذهبوا بهم إلى مكان يسمى بئر معونة وقتلوهم إلا سبعة ، فلو كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلم الغيب لقال لهم أنتم كفرة وكذابون .

فعلم الله عز وجل يتعلق بكل موجود ، ويتعلق بالأزل وبالأبد ، فعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فالأشياء التي لم يُقَدِّرْ الله عز وجل وقوعها لو قدر أن تقع لعلم صورتها ، سواء كانت من الممكنات أو المستحيلات .

فقال في الممكن على تقدير وقوعه : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيه مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ ، وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رجلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ** ﴾ . (الأنعام : ٨،٩) .

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢/٨) التفسير ، ومسلم (٨٠/٨) الإيمان .

وقال عز وجل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك : ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُم يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيْكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ والله عَليمٌ بِالظَّالِمينَ** ﴾ . (التوبة : ٤٧) ، وقال في المستحيلات : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيْهِمَا آلِهة إِلَّا الله لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ الله رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ . (الأنبياء : ٢٢) .

وقال تعالى : ﴿ **مَا اتَّخَذَ الله مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِله إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ . (المؤمنون : ٩١،٩٢) .

والعرب كانت تصف علم الله عز وجل بالنقص كما جاء في حديث البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **وقف رجلان سمينان أمام الكعبة فسأل أحد منهما الآخرَ ترى أن الله يعلمُ سرنا فقال : لا . يعلم ما نجهر به أما ما نسر به فلا يعلمه** » . فكانت هذه عقيدة المشركين أن الله يعلم ما ظهر ولا يعلم ما بطن ولذا كانت العرب تستتر بالمعاصي ظنا منهم أن الله لا يعلمهم وهم مستترون ولذا أنزل الله عز وجل : ﴿ **وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُم وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنتُمْ أَنَّ الله لَا يَعْلَمُ كثيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[1]. (فصلت : ٢٢) .

فالله عز وجل يتصف بالعلم المطلق وهذه العقيدة هي الركيزة للقضاء والقدر قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال ، وما أكتب ؟ قال : اكتب ما سيكون إلى يوم القيامة** »[2] .

---

(١) رواه مسلم (١٢٢/١٧) كتاب المنافقين .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨/١٢) السنة، والترمذي (٣٢٠/٩) القدر، وأحمد في المسند (٣١٧/٥) وصححه عبد القادر الأرناؤوط .

وفي حديث مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء** »[1].

واليهود لعنهم الله يشبهون الله تعالى بخلقه ويقولون إن الله تبارك وتعالى لا يعلم نتيجة الشيء فيخلق ويجرب ويستفيد علما جديدا كما في التوراة المحرفة : « إنَّ الله لما رأى الفَسَادَ وَالشر استشرى بالناس بكى حتى رمدت عينه وقال : لماذا خلقت الإنسان » .

فالله عز وجل لا يستفيد علما جديدا بوجود الأشياء بل يعلم كيف تكون الأشياء قبل وجودها .

بعض الناس قرأ قول الله عز وجل : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ونبلوَ أَخْبَارَكُمْ** ﴾ . (محمد : ٣١) ، وقوله عز وجل : ﴿ **وَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ** ﴾ . (العنكبوت : ١١) .

فقالوا الله عز وجل لا يعلم الأشياء قبل وقوعها ، ويعرضون عن الآيات المحكمة الصريحة في أن الله بكل شيء عليم . كما أخذوا الآية : ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرضاً حَسنا** ﴾ . (الحديد : ١١) ، فقالوا الله يطلب القرض إذن الله فقير ، والآيات المحكمة تصرح أن الله هو الغني بذاته وكل ما سواه فقير قال الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى الله والله هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ** ﴾ . (فاطر :١٥) ، فالذي يأخذ بعض الآيات ويفهم منها معنى كاملا ويعرض عن بقية الآيات في نفس المسألة يضل ، فلا يجوز أن نأخذ الحكم العام من آية مخصوصة ونضرب كتاب الله بعضه ببعض ولكن نجمع الآيات والأحاديث في الموضوع الواحد ثم نستخرج الحكم .

---

(١) رواه مسلم (١٦/٢٠٣) القدر ، والترمذي (٩/٣٢١) أبواب القدر .

والمعنى الصحيح لهذه الآيات أنه يبرز إلى الوجود ما سبق في علم الله ، حتى يستحق الناس على ذلك الثواب والعقاب ، فهذا أسلوب من أساليب اللغة ، فقد تكون مصدقا بشيء وأقول ستراه ، حتى يكون علم اليقين ، فالله عز وجل لا يستفيد علما جديدا ، ولكن يبرز إلى الوجود ما سبق في علم الله .

ج - صفتا السمع والبصر[1]

أثبت الله عز وجل لنفسه صفة السمع المحيط بجميع المسموعات والبصر المحيط بجميع المبصرات ، وهاتان الصفتان من صفات ذاته وهما متضمن اسميه « السميع البصير » قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيْعاً بَصِيْراً** ﴾ . (النساء : ٥٨) ، وقال تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير** ﴾ . (الشورى : ١١) ، وقال تعالى : ﴿ **قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ** ﴾ . (الكهف : ٢٦) .

قال ابن جرير رحمه الله : وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وما أسمعه ، أو ما أبصره لكل موجود وأسمعه لكل مسموع . وروى عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **أبصر به وأسمع** ﴾ : « فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع » .

وقال تعالى لهارون وموسى : ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ . (طه : ٤٦) ، قال ابن عباس : أسمع دعاءكما فأجيبه ، وأرى ما يراد بكما فأمنعه ، لست بغافل عنكما فلا تهتما .

وقال تعالى : ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ . (الزخرف : ٨٠) ، وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى** ﴾ . (العلق : ١٤) ، وقال تعالى : ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم** ﴾ .

(١) انظر معارج القبول لحافظ بن أحمد ، ومنهج جديد في دراسة التوحيد وشرائط الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في العقيدة .

(التوبة : ١٠٥) ، وقال تعالى : ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا** ﴾ . (آل عمران : ١٨١) ، وقال تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى الله والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ . (المجادلة : ١) .

عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات كلها ، لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى الله والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾[1]. (المجادلة : ١) .

وعاب إبراهيم على أبيه أنه يعبد إلها لا يسمع ولا يبصر فقال : ﴿ **يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُد مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا** ﴾ . (مريم : ٤٢) ، والذين ينفون صفات الله عز وجل يجعلون للكفار حجة على المؤمنين فيقولون وأنتم كذلك تعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ، بل يجعلون المخلوق أكمل من الخالق فإن المخلوق له سمع وبصر ، ومن كان له سمع وبصر بأي كيفية أكمل من هذه الحيثية ممن ليس له سمع وبصر ، فالسمع والبصر صفتان ثابتتان لله عز وجل ، وقد وصف الله عز وجل الإنسان بالسمع والبصر فقال تعالى : ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيه فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيرا** ﴾ . (الإنسان : ٢) ، لكن سمع الله عز وجل وبصره ليس كسمع المخلوق وبصره ، فسمع المخلوق وبصره محدود في أبعاد معينة وبكيفية معينة ، أما سمع الله عز وجل وبصره فلا تحده حدود قال عز وجل : ﴿ **سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِه وَمَن هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ** ﴾ . (الرعد : ١٠) ، فيستوى عنده عز وجل من أسر القول ومن أعلَن به ومن يسير في جنح الظلام ومن يتحرك في وضح النهار ، والكل

---

(١) رواه ابن ماجة (٢٠٦٣) والحاكم (٤٨١/٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي والألباني – إرواء الغليل (٢٠٨٧) وصحيح ابن ماجة (١٨٨) .

مكشوف عند الله عز وجل ، والله عز وجل لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، بل يسمع كل الخلق الإنس والجن الأولين والآخرين إذا اجتمعوا في مكان واحد واجتهدوا في الدعاء وإنزال الحوائج والرغائب به عز وجل ، قال تعالى في الحديث القدسي : « **يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد وسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أدخل البحر** »[1].

فعلم الله عز وجل وسمعه وبصره يتعلق بكل موجود لا تحده الأزمنة والأمكنة ، فعلم الأشياء قبل أن توجد ، ولذلك كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم ، ويسمع دبيب النملة السوداء على الصَفَاة الملساء في الليلة الظلماء .

روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال : « **أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائبا تدعون سميعا بصيرا قريبا** »[2].

قال النووي : معناه أرفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم ، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه ، وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصمَّ ولا غائب بل هو سميع قريب وهو معكم بالعلم والإحاطة ، ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه[3].

---

(١) رواه مسلم (١٦/١٣٢،١٣٣) البر والصلة ، والترمذي (٩/٣٠٤،٣٠٥) أبواب صفة القيامة .

(٢) رواه البخاري (٧/٣٦٣) المغازي ، ومسلم (١٧/٢٥،٢٦) الذكر والدعاء .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/٢٦) .

د - صفتا الحياة والقيومية[1]

جاءت هاتان الصفتان مقترنتان في ثلاثة مواضع من كتاب الله عز وجل:آية الكرسي : ﴿ **الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾ . (البقرة : ٢٥٥) ، ومطلع آل عمران : ﴿ **الٓمٓ ، الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيّومُ** ﴾ . (آل عمران : ١،٢) ، سورة طه : ﴿ **وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيّوم** ﴾ . (طه : ١١١) .

وجاءت صفة الحى منفردة كقوله عز وجل : ﴿ **هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين** ﴾ . (غافر : ٦٥) ، وقوله عز وجل : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ** ﴾ . (الفرقان : ٥٨) . وجاءت صفة القيوم منفردة في السنة كما جاءت في الحديث للبخاري .

كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا افتتح الصلاة من الليل يقول : « **اللهم لك الحمد أنت قَيِّمُ السموات والأرض ومن فيهن** »

في رواية « **أنت قَيَّامُ السَّمَواتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيْهن** » ، وَقيِّم وَقيَّام وقيُّوم كلها بمعنى واحد ، وهو صيغة مبالغة من القيام .

---

(١) شرائط الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق وكتابه منهج جديد في دراسة التوحيد ومعارج القبول .

صفة الحياة

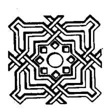
حقيقة الحياة في الأحياء لا نعرفها ولكن نستطيع أن نميز بين الحي والميت ، والله عز وجل وصف نفسه بالحياة ووصف بعض عباده بالحياة فقال عز وجل : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَي** ﴾ . (الأنبياء : ٤٣) ، وقال : ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ** ﴾ . (الأنعام : ١٢٢) ، فوصف بعض الخلق بالحياة وقال عز وجل : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قدير الَّذِى خَلَقَ المَوْتَ والحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيْزُ الغَفُورُ** ﴾ . (الملك : ١ ، ٢) ، والقاعدة أن الصفة التي يوصف بها الله عز وجل ويوصف بها المخلوق نؤمن أن صفة المخلوق لائقة بحاله ، وصفة الخالق تليق بجلاله عز وجل ، فما يثبت لله عز وجل غير ما يثبت للمخلوق ، فحياة المخلوق سبقها عدم ويعقبها موت وهو متعرض في حياته للنوم والغفلة والمرض ، وحياة الله عز وجل منزهة عن كل ذلك فهي أزلية أبدية لم يسبقها عدم ولا يعقبها موت تعالى الله عن ذلك وهو سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم ، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل** »[1].

وحياة المخلوق حياة تفتقر إلى طعام وشراب وهواء وإلى ملايين العمليات التى تجرى بداخله حتى تستمر هذه الحياة ، والله عز وجل غنى عن كل ذلك ﴿ **وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمْ** ﴾ . ولما أراد الله عز وجل أن ينفي الربوبية التي ادعاها

---

(١) رواه مسلم (١٥،١٤/٣) الإيمان ، وابن ماجة (١٩٥) المقدمة ، وهو في المسند (٤٠١،٤٠٠/٤) وابن ماجة (١٩٦) من رواية المسعودي ورواه البغوي في شرح السنة (١٧٣/١) .

النصارى للمسيح ابن مريم وأن يبين ما فيه من صفات النقص اللازم للمخلوق قال عز وجل : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ** ﴾ . (المائدة : ٧٥) ، فالذي يحتاج إلى طعام لا يمكن أن يكون إلهاً .



صفـــة القيوميـــة

هذه الصفة تنقسم إلى معنيين كبيرين :

المعنى الأول : أن الله تبارك وتعالى هو القائم بنفسه أما المخلوق فلا يقوم إلا بغيره .

المعنى الثاني : أن الله تبارك وتعالى هو المقيم لغيره يندرج تحتها عدة معان :

١- القيام على كل نفس بما كسبت بمعنى المراقبة والمحاسبة قال تعالى : ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ . (الرعد : ٣٣) ، وهو الشهيد على كل شيء ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد** ﴾ . (فصلت : ٥٣) .

٢- الله عز وجل يرزق غيره ما يطلبه وما يحتاج إليه فلا قيام لغيره إلا به عز وجل قال تعالى : ﴿ **ومَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا** ﴾ . (هود : ٦) .

بعض صفات الأفعال

(أ) صفة الاستواء والفوقية :

في القرآن أكثر من ألف دليل على فوقية الله عز وجل على خلقه واستوائه على عرشه وفي السنة الصحيحة الكثير الطيب فمن ذلك :

١ – الأسماء الحسنى الدالة على ثبوت العلو بجميع معانيه لله عز وجل كاسمه الأعلى ، واسمه العلى ، واسمه المتعالى ، واسمه الظاهر ، واسمه القاهر قال الله عز وجل : ﴿ **سَبح اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ . (الأعلى : ١) ، وقال عز وجل : ﴿ **إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كبيرا** ﴾ . (النساء : ٣٤) .

٢– ومن ذلك التصريح بالفوقية كقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه** ﴾ . (الأنعام : ١٨) ، وقوله : ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِن فَوْقِهِمْ** ﴾ . (النحل : ٥٠) ، ومن ذلك التصريح بأن الله عز وجل في السماء أي فوق السماء قال تعالى : ﴿ **أَأَمِنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُور** ﴾ . (الملك : ١٦) ، وقوله : ﴿ **أَمْ أَمِنتُم مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِل عَلَيْكُم حَاصِبا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِير** ﴾ . (الملك : ١٧) .

٣– ومن ذلك التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده كقوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾ . (الأعراف :٢٠٦) ، وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : قال « **إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي** »[1] .

---

(١) رواه الترمذي (٦١/١٣) الدعاء وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ، ورواه ابن ماجة (٦٧/١) المقدمة وقال الألباني : حسن صحيح ورواه أحمد (٣٨١/٢) .

٤- ومن ذلك الرفع والصعود والعروج إليه وهو أنواع منها :

ا - رفع عيسى عليه السلام : ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾ . (النساء : ١٥٧ — ١٥٨) .

ب - صعود الأعمال إليه : ﴿ **إِلَيه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه** ﴾ . (فاطر : ١٠) .

ج - صعود الأرواح إلى الله عز وجل ، أي أرواح المؤمنين كما في حديث البراء بن عازب قال : « **فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان ابن فلان** »[1].

د - معراج نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحيحة المشهورة والمعراج هو الصعود والارتفاع .

٥- ومن ذلك التصريح بنزوله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له** »[2]. وقد ثبت أيضاً نزوله تعالى ليلة النصف من

---

(١) حديث البراء بن عازب رواه أبو داود (٢٨١/٢) والحاكم (٣٧/١-٤٠) والطيالسي (رقم ٧٥٣) وأحمد (٢٨٧/٤) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي والألباني وقال: وصححه ابن القيم ونقل تصحيحه عن أبي نعيم وغيره - أحكام الجنائز (١٢٩) باختصار .

(٢) رواه البخاري (٤٦٤/١٣) التوحيد ، ومسلم (٣٨/٦،٣٩) صلاة المسافرين ، والترمذي (٣٠/١٣) الدعوات وأبو داود (١٣٠١) الصلاة .

شعبان ، وعشية عرفة ، وعند فناء الخلق حين ينزل إلى السماء الدنيا ينادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار .

٦- ومن ذلك نزول الملائكة من عنده عز وجل ، قال تعالى : ﴿ **يُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ** ﴾ . (النحل : ٢) ، وقال عز وجل : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ** ﴾ . (الشعراء : ١٩٣،١٩٤) .

٧ - ومن ذلك رفع الأيدي والأبصار إليه كما في حديث القنوت والاستسقاء .

٨ - ومن ذلك إشارة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه .

٩ - ومن ذلك ما قصه الله تعالى عن فرعون لعنه الله في تكذيبه موسى عليه السلام في أن إلهه العلي الأعلى خالق كل شيء قال تعالى في سورة القصص : ﴿ **وَقَالَ فِرْعَونُ يَا أَيُّهَا المَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِد لِي يَا هَامَانُ عَلى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إلى إِلهِ مُوسَى وإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِين** ﴾ . (القصص : ٣٨) .

١٠- ومن ذلك ما قصه الله تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلى للجبل فاندك الجبل فلو كان الله عز وجل متجليا لكل شيء لجعل كل شيء دكا كما جعل الجبل دكا .

١١- ومن ذلك ما رواه البخاري في تاريخه عن ابن عمر رضي الله عنه قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم دخل أبو بكر رضي الله عنه عليه فَأَكَبَّ عليه وقبل جبهته وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حيا وميتا وقال : من كان يعبد محمدا فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت .

١٢- ومن ذلك حديث الجارية التي سألها النبي صلى الله عليهْ وعلى آله وسلم :

« **أين الله** » ، **قالت** في السماء . **قال** : « **من أنا** » . **قالت** : أنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . **فقال** : « **أعتقها فإنها مؤمنة** »[1].

١٣- ومن الآثار قول عبد الله بن رواحة :

شَهِدت بَأَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ   وَأَنَّ النَّار مَثْوَى الكَافِرِينَا
وَأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ الماءِ طافٍ   وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ كِرَامٌ   مَلائِكَةُ الإِلَه مُسَوَّمِينَا

وعلى ذلك جماعة الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين عدا أهل البدع المضلين .

---

(١) رواه مسلم (٥/٢٣،٢٤) المساجد ، ومالك في الموطأ (٢/٧٧٦،٧٧٧) العتق، وأبو داود (٣٢٦٠) ، الأيمان والنذور ، والنسائي (٦/٢٥٢) الوصايا .

أثر عقيدة الفوقية في قلب المؤمن

قال أبو محمد الجويني ما ملخصه :

العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء عالٍ على عرشه بلا حصر ولا كيفية ، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه ، صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعائه ، ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه ، فإنه يبقى ضائعا لا يعرف وجهة معبوده ، لكن لو عرفه بسمعه وبصره وقدمه ، وتلك بلا هذا الإيقان معرفة ناقصة بخلاف من عرف أن إلهه الذي يعبده فوق الأشياء فإذا دخل في الصلاة وكبر ، توجه قلبه إلى جهة العرش منزها ربه تعالى عن الحصر مفردا له ، كما أفرده في قِدَمه وأزليته ، ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه ، هو معهم بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وقدرته ومشيئته ، وذاته فوق الأشياء ، فوق العرش ، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه أشرق قلبه واستنار وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان ، وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه ، فانشرح لذلك صدره وقوى إيمانه ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول وذاق حين ذاك من أذواق السابقين المقربين بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده ، وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه ، فإنها قالت : « في السماء » عرفت بأنه على السماء فإن في بمعنى على فمن ثَمَّ تكون راعية الغنم أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده ، فإنه لا يزال مظلم القلب لا يستنير بأنوار المعرفة والإيمان[1].

---

(١) نقلاً عن مقدمة الألباني لكتاب « مختصر العلو » ونسبه حفظه الله للجويني في رسالة الاستواء والفوقية ، وحقق بعض إخواننا نسبة هذه الرسالة وصحح أنها منسوبة لابن شيخ الحزَّامين ص (٧٧،٧٨) .

ب - صفـة النــزول :

في الصحيح وغيره عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول:هل من داع فأستجيب له ، هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له** » . وفي بعض الروايات « **أنا الملك أنا الملك** » . وفي بعضها « **من يقرض غير عديم ولا ظلوم** » . وفي بعضها « **لا أسأل عن عبادي غيري** »[1]، ففي هذا الحديث الصحيح إثبات صفة من صفات الأفعال ، وهي صفة النزول كل ليلة إلى سماء الدنيا نزولا يليق بجلاله عز وجل ، وقول السائل: كيف ينزل بمنزلة قوله : كيف استوى ، وقد تقدم الجواب عن ذلك من أئمة المسلمين فقد روى من غير وجه أن سائلا سأل مالكا عن قوله : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ . (طه : ٥) ، كيف استوى ؟ فأطرق مالكٌ حتى علاه الرُّحَضَاءُ ثم قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا رجل سوءٍ ثم أمر به فأخرج . وقال بعض أهل العلم : إذا قال لك الجهمي: كيف ينزل ؟ فقل له: إن الله أخبرنا أنه ينزل ، ولم يخبرنا كيف ينزل .

شبهات على حديث النزول :

قال بعضهم: ينزل ملك وهذا باطل من وجوه منها : أن الملائكة لا تزال تنزل بالليل والنهار إلى الأرض كما قال تعالى : ﴿ **يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بالرُّوْحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ . (النحل : ٢) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة**

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٦) .

بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ... »[1]. الحديث ومنها : أن الحديث فيه « **من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له** » . ولا يجوز أن يقول ذلك ملك عن الله ، كما أولت الجهمية صفة كلام الله لموسى وقالوا بأنه أمر ملكا فكلمه فقال لهم أهل السنة: لو كلمه ملك لم يقل : ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي** ﴾ . (طه : ١٤) .

الشبهة الثانية : قول بعضهم: تنزل رحمته والرد على هذه الشبهة أن الرحمة إذا نزلت لم تقل « من يسألني فأعطيه » كما لا يقول ذلك الملك . وفي الحديث كذلك أن النزول مقيد بالسماء الدنيا فإذا نزلت الرحمة واحتجزت في السماء الدنيا ، فأي منفعة حصلت للعباد[2].

ج - صفـــة الكـــلام :

ومن صفات الأفعال التي أثبتها الله عز وجل لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صفة الكلام - قال الله عز وجل : ﴿ **وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيما** ﴾ . (النساء : ١٦٤) ، وقال عز وجل : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيْقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّه** ﴾ . (الأعراف : ١٤٣) ، وأخبر عز وجل عن كلامه لموسى فقال : ﴿ **وإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائتِ القَوْمَ الظَّالِمينَ قَوْمَ فِرْعونَ أَلَا يَتَّقُونَ** ﴾ . (الشعراء : ١٠،١١) ، وفي الصحيحين من احتجاج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما وفيه قول آدم لموسى : « **أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته**

(١) رواه البخاري (٣٣/٢) مواقيت الصلاة ، ومسلم (١٣٣/٥) المساجد ، ومالك في الموطأ (١٧٠/١) قصر الصلاة في السفر قال عياض : والحكمة في اجتماعهم في هاتين الصلاتين من لطف الله تعالى بعباده وإكرامه لهم بأن جعل اجتماع ملائكته في حال طاعة عباده لتكون شهادتهم لهم بأحسن الشهادة .

(٢) مجموع الفتاوى وشرائط الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق .

وبكلامه »[1]. الحديث .

وقد أخبرنا الله عز وجل أنه اصطفى عبده موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطة وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليما ، وأخبرنا تعالى بما كلمه به ، وبالموضع الذي كلمه فيه ، وبالميقات الذي كلمه فيه ، وأخبر عنه رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك في أصح الروايات ، فأى كلام أفصح من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأي بيان أوضح من بيان الله عز وجل وبيان رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأي برهان يقنع من لم يقتنع بذلك ، ﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيْثٍ بَعْدَ اللهِ وآيَاتِهِ يُؤمِنُونَ** ﴾ . (الجاثية : ٦) ، وفي ذلك أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عز وجل ، وأنه يتكلم إذا شاءَ وكيف شاء بكلام يسمعه من يشاء وأسمعه موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد .

وقد ثبت بالكتاب والسنة نداؤهُ للأبوين عليهما السلام قال تعالى : ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ . (الأعراف : ٢٢) ، والملائكة تسمع كلام الله عز وجل بالوحي كما قال تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ** ﴾ . (سبأ : ٢٣) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض** »[2].

---

(١) **رواه البخاري (١٣/٤٧٧)** التوحيد ، ومسلم (١٦/٢٠٠) القدر .

(٢) **رواه البخاري (١٠/٤٦١) الأدب** ، ومسلم (١٦/١٨٤) البر والصلة، ومالك في الموطأ (٢/٩٥٣) الشعر ، والبغوي في شرح السنة (١٣/٥٥) الحب في الله .

وثبت بالكتاب والسنة كلامه مع الرسل والملائكة وغيرهم يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ؟ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ** ﴾ . (المائدة : ١٠٩) ، وقال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَل كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ** ﴾ . (سبأ : ٤١،٤٠) ، ويقول عز وجل لأهل الجنة سلام عليكم كما قال تعالى : ﴿ **سَلَامٌ قَوْلاً من ربٍّ رَحِيم** ﴾ . (يس : ٥٨) ، ويقول عز وجل لأهل النار أعاذنا الله من حالهم : ﴿ **اخْسَأُوا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** ﴾ . (المؤمنون : ١٠٨) ، والقرآن ممتلئ بذلك وفي الصحيح عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان** »[1]. الحديث .

والقرآن كلام الله تكلم به حقيقة كما شاء وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك .

قال الإمام الطحاوي رحمه الله مبينا عقيدة أهل السنة والجماعة :

« وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى : ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرْ** ﴾ . (المدثر : ٢٦) .

فلما أوعد الله بسقر لمن قال : ﴿ **إن هذا إِلَّا قول البشر** ﴾ . (المدثر : ٢٥) ، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فمن أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر ، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر » .

---

(١) رواه مسلم (١٠١/٧) الزكاة ، والبغوي في شرح السنة (١٣٨،١٣٧/٦) الزكاة .

والأدلة على أن القرآن كلام الله كثيرة متواترة : منها ما ورد في القرآن ذاته كما في قوله تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾ . (هود : ١) ، وقوله تعالى : ﴿ **أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً** ﴾ . (الأنعام : ١١٤) ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ الله** ﴾ . (التوبة : ٦) ، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إنَّكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه** »[١].

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إنَّ أحسن الكلام كلام الله تعالى** »[٢]، وقال خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه » .

وعن عثمان رضي الله عنه قال : « ما أحب أن يأتي علي يوم وليلة ولا أنظر في كلام الله (يعني القراءة في المصحف) » .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه :«من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن فإن أحب القرآن فهو يحب الله فإنما القرآن كلام الله» .

والقرآن كله يشهد أنه كلام الله وتنزيله وقصصه وتعليمه وألفاظه ومعانيه .

وقد انعقد إجماع سلف الأمة الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون على تكفير من قال بخلق القرآن ، وذلك لأنه لا يخلو قوله من إحدى ثلاث:إما أن يقول إنه خلقه في ذاته أو في غيره أو منفصلا عنه مستقلا ، وكل الثلاث كفر صريح ،

---

(١) رواه الترمذي (٣٦/١١) فضائل القرآن عن جبير بن نفير ، ورواه الحاكم عن أبي ذر (٥٥٥/١) فضائل القرآن ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي: صحيح .

(٢) رواه البخاري (٢٤٩/١٣) الاعتصام بلفظ: « **إن أحسن الحديث كتاب الله** » .

لأنه إذا قال خلقه في ذاته فقد جعل ذاته محلا للمخلوقات ، وإذا قال خلقه في غيره فهو كلام ذلك الغير ، فيكون القرآن كلام كل تال ، وهذا قول الوليد ابن المغيرة حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** ﴾ . (المدثر : ١٨-٢٦) ، وإذا قال إنه خلقه منفصلا مستقلا فهو جحود لوجوده مطلقا إذ لا يعقل ولا يتصور كلام يقوم بذاته بدون متكلم كما لا يعقل سمع بدون سميع ولا بصر بدون بصير ولا علم بدون عالم ولا إرادة بدون مريد ، ولا حياة بدون حي إلى غير ذلك تعالى الله عما يقول الجاحدون علوا كبيرا فهذه الثلاث لا خروج لزنديق منها ، ولا جواب له عنها ، فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين .

الرد على بدعة الجهمية القائلين بأن القرآن مخلوق :

الدليل الأول : قوله عز وجل : ﴿ **أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِين** ﴾ . (الأعراف : ٥٤) ، ففرق الله عز وجل بين الخلق والأمر بواو الاستئناف ، وأعلمنا أنه يخلق الخلق بأمره أي بكلامه فقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون** ﴾ . (النحل : ٤٠) ، فكلمة « كن » هي كلامه الذي يكون الخَلق وكلامه عز وجل الذي يكون الخلق غير الخلق الذى يكون مكونا بكلامه فقوله « كن » لو كان خلقا كما زعمت الجهمية فبما يكونه .

الدليل الثاني : قوله عز وجل : ﴿ **والشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بأَمْرِه** ﴾ . (النحل : ١٢) ، فهل يتوهم مسلم أن الله تعالى سخر الشمس والقمر والنجوم بخلقه ، أليس مفهوما أن الأمر الذي سخر به غير المسخر بالأمر .

الدليل الثالث : قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما ثبت عنه : « **أَعُوذُ**

بكَلِمَات الله التَّامَاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ »[1]، فغير جائز أن يتعوذ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخلق الله من شر خلقه ، فلا يستجيز عالم أن يقول أعوذ بالكعبة أو بالصفا أو بالمروة أو بعرفات من شر ما خلق فدل على أن كلمات الله غير مخلوقة .

الدليل الرابع : قوله عز وجل : ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادا لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ . (الكهف : ١٠٩) ، فدل على أن كلمات الله غير مخلوقة لأنها لا تفنى بالمخلوق .

الدليل الخامس : قوله عز وجل مخبرا عن نفسه أنه يقول يوم القيامة : ﴿ **لِمَنْ المُلْكُ اليَوْمَ** ﴾ . (غافر : ١٦) ، وجاءت الرواية أنه يقول هذا القول فلا يرد عليه أحد شيئا فيقول : ﴿ **لله الوَاحِدِ القَهَّار** ﴾ . فإذا كان الله عز وجل قائلاً مع فناء الأشياء إذ لا إنسان ولا ملك ولا حي ولا شجر ولا مطر ، فدل على أن كلام الله خارج عن الخلق لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود .

الدليل السادس : قوله عز وجل : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ الله إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِى بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ** ﴾ . (الشورى : ٥١) .

فإذا كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقا في شيء مخلوق لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى ، لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدُوهُ بزعم الجهمية مخلوقا في المخلوقات ، وهو كذلك يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلق في شجرة أن يكون من سمع كلام الله من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه أفضل مرتبة من

---

(١) رواه مسلم (٣١/١٧) الذكر ، ومالك في الموطأ (٩٥١/٢) الشعر، وأبو داود (٣٨٧٥) الطب بمعناه .

موسى لأنه سمعه من شجرة .

الدليل السابع : قوله عز وجل : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ ، خلَقَ الإنْسَانَ** ﴾ . (سورة الرحمن : ٣،٢،١) ، ففرق بينهما و لم يقل خلق القرآن ، والقرآن من علم الله ، والعلم صفة من صفات الله عز وجل ، لم يزل قديرا عليما عزيزا حكيما سميعا بصيرا ، ولسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة ، ولسنا نشك أن علم الله غير مخلوق ، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله فلا نشك أنه غير مخلوق .

ســــــؤال ؟ .

إذا قال قائل : أليس قد قال تعالى : ﴿ **مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِن رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوه وَهُمْ يَلْعَبُونَ** ﴾؟. (الأنبياء : ٢) ، قيل له: الذكر الذي عناه الله عز وجل ليس هو القرآن بل هو كلام الرسول لهم ووعظه إياهم ، وقد قال تعالى : ﴿ **ذِكْرا رَسُولَا** ﴾ . في قوله تعالى : ﴿ **وكأَين مِن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شديداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً ، فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ، أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا الله يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِيْنَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْرا رَسُولاً يَتْلوا عَلَيْكُمْ آياتِ الله مُبَيِّنَاتٍ** ﴾ . (الطلاق : ٨:١١) فسمى الرسول ذكرا ،والرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم مُحدث ، وأيضاً فإن الله عز وجل يقول : ﴿ **مَا يَأْتِيْهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِن رَّبِّهِمْ مُحْدَثٍ الَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ . (الأنبياء : ٢) ، و لم يقل لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثا ، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يقول القرآن محدث .

الحكم في بقية الصفات التى وصف الله عز وجل بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال الشيخ حافظ بن أحمد في سلم الوصول :

وَكُلُّ مَالَهُ مِنَ الصِّفَاتِ ... أَثْبَتَهَا فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ
أَوْ صَحَّ فِي مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ... فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالقَبُولُ
نُمِرهَا صَرِيْحَةً كَمَا أَتَتْ ... مَعَ اعْتِقَادِنَا لِمَا لَهُ اقْتَضَتْ
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلِ ... وَغَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلِ
بَلْ قَوْلُنَا قَوْلُ أَئِمَّةِ الهُدَى ... طُوْبَى لِمَنْ بِهَدْيِهِمْ قَدْ اهْتَدَى[1]

أي أن بقية الصفات التي لم نخصها بالذكر هنا حكمها كذلك التسليم والقبول على ظاهرها ، من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكييف ولا تمثيل ، **ومن هذه الصفات صفة النفس** فقد أثبت الله عز وجل لذاته الشريفة نفسا فقال عز وجل : ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمْ الله نَفْسَه والله رَؤوفٌ بالعِبَادِ** ﴾ . (آل عمران : ٣٠) ، وقال تعالى : ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾ . (طه : ٤١) ، وقال عيسى عليه السلام فيما أخبرنا ربنا عز وجل : ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوب** ﴾ . (المائدة : ١١٦) .

وقال عز وجل في الحديث القدسي : « **فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم** »[2] .

---

(١) معارج القبول (٣١٠/١)،(٣١٨/١) .
(٢) رواه البخاري (٣٨٤/١٣) التوحيد ، ومسلم (١٢/١٧) الذكر والدعاء . والبغوي =

ومن هذه الصفات صفة المحبة لأوليائه قال عز وجل : ﴿ إنَّ الله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ . (البقرة : ١٩٥) ، وقال تعالى : ﴿ والله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ . (آل عمران : ١٤٦) ، وقال في الحديث القدسي : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه »[١].

ومن هذه الصفات كذلك صفة الصبر قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، يَدَّعُونَ له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم »[٢].

ومن هذه الصفات صفة الرضى عن المؤمنين والغضب على الكافرين قال عز وجل : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ المُؤْمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ . (الفتح : ١٨) ، وقال : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ ﴾ . (الزمر : ٧) ، وقال في حق الكفر وأهله : ﴿ غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ ﴾ (الممتحنة : ١٣) . وقال في حق القاتل للنفس بغير حق﴿ فجزاؤه جَهَنَّمُ خالداً فِيْهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْه وَلَعَنَه ﴾ . (النساء : ٩٣)

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة يحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها »[٣]. وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث الشفاعة : « إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب

= في شرح السنة (٥/٢٤) .

(١) رواه البخاري (٤/٢٣١) ، وأبو نعم ,(٤/١) الحلية ، والبغوي في شرح السنة (٢/١٤٢/١) - الصحيحة ١٦٤٠ .

(٢) رواه البخاري (١٠/٥١١) الأدب ، وأحمد (٤/٣٩٥،٤٠١،٤٠٥) .

(٣) رواه مسلم (١٧/٥١) الذكر والدعاء ، والترمذي (٨/٨،٩) الأطعمة .

قبله مثله ولن يغضب بعده مثله »[1].

ومما يثبت له عز وجل صفة الغيرة .

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن »**[2].

ومن هذه الصفات التي ثبتت لربنا الجليل صفة الضحك قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة »**[3].

آمنا بالله عز وجل وبما قال الله عز وجل على مراد الله ، وآمنا برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبما قاله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على مراد رسول الله .

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

---

(١) رواه مسلم (٣/٦٥-٦٩) الشفاعة واللفظ له وهو في البخاري كذلك (١٣/٤٧٣) التوحيد .

(٢) رواه الدارمي (٢/١٤٩) النكاح ، وأحمد (٤/٢٤٨) وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات (٤/٣٢٩) مجمع الزوائد .

(٣) رواه البخاري (٦/٣٩) الجهاد ، مسلم (١٣/٣٦) الإمارة، ومالك في الموطأ (٢/٤٦٠) الجهاد ، والنسائي (٦/٣٨،٣٩) الجهاد .

أسماء الله الحسنى سرد وبيان[1]

ونختم الحديث عن أسماء الله عز وجل وصفاته ببيان ما جمعه العلماء من الكتاب والسنة من أسماء الله الحسنى مع بيان شيء من معانيها الشريفة .

١ - **الله** : علم على ذات المعبود عز وجل ، ومعناه من له الألوهية بحق .
٢ - **الرحمٰن** : صيغة مبالغة من الرحمة قيل هى للمؤمن والكافر في الدنيا .
٣ - **الرحيم** : مشتق من الرحمة ، وقيل خاص بالمؤمنين ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيْما** ﴾ . (الأحزاب : ٤٣) .
٤ - **الملك** : أي المتصرف في ملكه كيف يشاء .
٥ - **القُدُّوس** : هو المنزه عن العيوب والنقائص .
٦ - **السَّلام** : الأمان لخلقه ، وقيل المُسلم عباده من المهالك .
٧ - **المؤمن** : هو الذي صدق نفسه وصدق عباده المؤمنين .
٨ - **المهيمن** : المسيطر .
٩ - **العزيز** : هو الذي لا مثيل له .
١٠- **الجبار** : المنفذ لأوامره ، وقيل هو الذي لا تناله الأيدي .
١١- **المتكبر** : المتعالى على صفات الخلق .
١٢- **الخالق** : المبدع المخترع للخلق ، وأصل الخلق التقدير .
١٣- **البارئ** : أي الموجد لما قدره بقدرته .
١٤- **المصوِّر** : أي الذي أعطى كل موجود صورته اللائقة به .

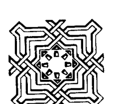
(١) انظر الاعتقاد للبيهقي ، شأن الدعاء للخطابي ، والعقائد الإسلامية لسيد سابق ، أسماء الله الحسنى أصول وبيان لرجائي بن محمد .

١٥- **الغفار** : كثير المغفرة وهي ستر الذنوب ومحو عقوبتها .
١٦- **القهار** : الغالب لجميع خلقه .
١٧- **الوهاب** : كثير النعم دائم العطايا والمنن .
١٨- **الرزاق** : خالق الأسباب وخالق أسبابها .
١٩- **الفتاح** : الذي يفتح المنغلق على عباده من أمورهم دينا ودنيا .
٢٠- **العليم** : العالم على المبالغة .
٢١،٢٢- **القابض الباسط** : الذي يوسع الرزق بجوده ورحمته ، ويقتره بحكمته .
٢٣،٢٤- **الخافض الرافع** : يخفض من يشاء بانتقامه، ويرفع من يشاء بإنعامه .
٢٥،٢٦- **المعز المذل** : الذي يهب العز لمن يشاء، ويلحق الذل بمن يشاء .
٢٧- **السميع** : المدرك لكل مسموع .
٢٨- **البصير** : المدرك لكل مُبْصَر .
٢٩- **الحكم** : الحاكم الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .
٣٠- **العدل** : العادل الكامل في عدالته .
٣١- **اللطيف** : العالم بخفايا الأمور .
٣٢- **الحليم** : الذي لا يتعجل بالعقوبة .
٣٣- **العظيم** : الذي جاوز قدره وجل عن حدود العقول .
٣٤- **الغفور** : الذي يكثر من المغفرة .
٣٥- **الشكور** : الذي يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل .
٣٦- **العلي** : الذي له صفة علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات .
٣٧- **الكبير** : الذي صغر دونه كل كبير .
٣٨- **الحفيظ** : يحفظ الأشياء من الاضطراب ويحفظ كل ما أراد .
٣٩- **المقيت** : المقتدر ، وقيل هو معطي القوت .
٤٠- **الحسيب** : الذي يكفي عباده .
٤١- **الجليل** : الذي له صفات الجلال لكمال صفاته .

٤٢- **الكريم** : كثير الجود والعطاء الذي لا ينفد عطاؤه ولا تنقضي خزائنه .
٤٣- **الرقيب** : الذي يراقب الأشياء ويلاحظها .
٤٤- **المجيب** : هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويغيث الملهوف إذا ناداه .
٤٥- **الواسع** : الذي وسعت رحمته كل شيءٍ ووسع علمه كل شيء .
٤٦- **الحكيم** : أي صاحب الحكمة لكمال علمه وإتقانه كل شيء .
٤٧- **الودود** : من الود والمحبة أي الذي يود عباده المؤمنين .
٤٨- **المجيد** : البالغ النهاية في المجد والشرف .
٤٩- **الباعث** : أي باعث الخلق يوم القيامة وقيل باعث الرسل إلى الأمم .
٥٠- **الشهيد** : الذي لا يغيب عنه شيء والشاهد على الخلق يوم القيامة .
٥١- **الحق** : أي المتحقق وجوده وإلهيته ، والحق ضد الباطل .
٥٢- **الوكيل** : أي القائم بأمور عباده المتكفل بمصالحهم .
٥٣- **القوي** : صاحب القدرة التامة .
٥٤- **المتين** : الشديدالذي لا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب .
٥٥- **الولي** : هو الناصر ، وقيل المتولي للأمر والقائم به .
٥٦- **الحميد** : المحمود المستحق للثناء .
٥٧- **المحصي** : الذي أحصى كل شيء بعلمه فلا يفوته منها شيء .
٥٨- **المبدى** : الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداءً من غير سابق مثال .
٥٩- **المعيد** : الذي يعيدُ الخلق مرة ثانية بعد الممات .
٦٠- **المحيي** : خالق الحياة في كل حي .
٦١- **المميت** : خالق الموت ومسلطه على من يشاء .
٦٢- **الحي** : صاحب الحياه الدائمة .
٦٣- **القيوم** : القائم بنفسه والمقيم لغيره .
٦٤- **الواجد** : الذي لا يفوته شيء ويجد كل ما يريده ويطلبه .
٦٥- **الماجد** : بمعنى المجيد لكن المجيد للمبالغة .

٦٦- **الواحد** : أي الفرد الذي لم يزل وحده بلا شريك .
٦٧- **الصمد** : السيد ، وقيل : الذي يصمد إليه في الأمور ، ويقصد في الحوائج .
٦٨،٦٩- **القادر المقتدر** : معناها ذو القدرة ، إلا أن المقتدر أبلغ .
٧٠،٧١- **المقدم المؤخر** : يقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، فينزل الأشياء منازلها .
٧٢،٧٣- **الأول الآخر** : السابق قبل كل شيء ، والباقي بعد كل شيء .
٧٤،٧٥- **الظاهر الباطن** : الذي ظهر فوق كل شيء ، والمطلع على ما بطن من الغيوب .
٧٦- **الوالي** : مالك الأشياء كلها المتصرف فيها .
٧٧- **المتعالي** : العالي فوق خلقه .
٧٨- **البر** : العطوف على عباده ببره ولطفه .
٧٩- **التواب** : الذي يقبل توبة عباده مرة بعد مرة .
٨٠- **ذو انتقام** : الذي ينتقم من أعدائه ويجازيهم .
٨١- **العفو** : من المبالغة في العفو وأصل العفو المحو ، وهو أبلغ من الغفور .
٨٢- **الرؤوف** : عظيم الرأفة والرحمة .
٨٣- **مالك الملك** : الذي تجري الأمور وفق إرادته ومشيئته .
٨٤- **ذو الجلال والإكرام** : مستحق أن يُجَلَّ ويكرم .
٨٥- **المقسط** : العادل في حكمه .
٨٦- **الجامع** : الذي يجمع الخلائق ليوم لا ريب فيه .
٨٧- **الغني** : المستغني عن كل ما عداه ، والمفتقر إليه كل ما سواه .
٨٨- **المغني** : الذي يغني من يشاء من عباده .
٨٩- **المانع** : الذي يمنع أولياءه ، أي يحوطهم وينصرهم .
٩٠،٩١- **الضار النافع** : موصل الضر لمن أراده ، والنفع لمن يشاء .
٩٢- **النور** : الذي يبصر بنوره الغاية ويرشد بهداه ذو الغواية .
٩٣- **الهادي** : الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته .
٩٤- **البديع** : الذي لا نظير له .

٩٥- **الباقي** : الذي دام وجوده .
٩٦- **الوارث** : الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم .
٩٧- **الرشيد** : الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم .
٩٨- **الصبور** : الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام .



رؤيـة المؤمنين ربهم عز وجل في الآخـرة

قال الإمام الطحاوي رحمه الله :

« والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . (القيامة : ٢٢،٢٣) ، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه ، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه » .

وقال أيضا : « ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام . لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم ، إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الرؤية ، بترك التأويل ، ولزوم التسليم ، وعليه دين المسلمين ، ومن لم يتوق النفي والتشبيه ، زَلَّ ولم يصب التنزيه » .

والأدلة من الكتاب على عقيدة الرؤية كثيرة صريحة :

- منها قوله عز وجل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . (القيامة : ٢٢،٢٣) .
- ومنها قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ . (يونس : ٢٦) ، والحسنى هي الجنة ، والزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل كما فسرها سلف الأمة .

- ومنها قوله عز وجل في حق الكفار : ﴿ **إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ . (المطففين : ١٥) ، فإذا حجب المؤمنون كذلك عن ربهم فأي فضل لهم على الكفار .

- ومنها قوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** ﴾ . (المطففين : ٢٢،٢٣) أي ينظرون إلى وجه الله عز وجل لقوله عز وجل بعد ذلك : ﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** ﴾ . (المطففين : ٢٤) ، والنظر إلى وجه الله الكريم هو الذي يورث نضرة الوجوه ، وأتى ذلك على سبيل المقابلة بعد أن ذكر حجاب أعدائه عن رؤيته .

فهذه الآيات صريحة الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى لا تقبل تحريفاً ولا تأويلاً ، ولا يردها إلا مكابر قد ختم الله على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله .

وقد تواترت الأحاديث بما تضمنته هذه الآيات : رواها أئمة السنة والحديث في دواوين الإسلام عن فضلاء الصحابة وأجلائهم رضي الله عنهم أجمعين ، فألق سمعك وأحضر قلبك وتأملها تأمل طالب للحق لا نافر عنه .

- ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **هل تضارون في رؤية القمر ليلةَ البدر** ؟». قالوا : لا يا رسول الله . قال : « **هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب** ؟ » . قالوا : لا . قال : « **فإنكم ترونه كذلك** .. »[1].

- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى

(١) رواه البخاري (٤١٩/١٣) التوحيد ، ومسلم (١٧/٣) الإيمان وأخرجاه بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري .

آله وسلم : « **جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن** »[1].

- وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال : « **إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا ..** »[2].

وفي صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** » . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَة** ﴾[3]. (يونس : ٢٦).

وفي حديث الشفاعة في الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **فيأتوني فأستأذن على ربي فيأذن لي فإذا أنا رأيته فأقع له ساجدا** »[4]. الحديث .

---

(١) رواه البخاري (٤٢٣/١٣) التوحيد ، ومسلم (١٦/٣) الإيمان ورواه أحمد (٤١١/٤) وابن ماجة (١٨٦) المقدمة ، والدارمي (٣٣٣/٢) .

(٢) رواه البخاري (٤١٩/١٣) التوحيد ، ومسلم (١٣٤/٥) المساجد ، وأحمد (٣٦٥/٤) .

(٣) رواه مسلم (١٧/٣) الإيمان .

(٤) تقدم تخريجه .

قال صاحب النونية رحمه الله :

وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ   نَظَرَ العَيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
هَذَا تَوَاتَرَ عَن رَسُولِ الله لَمْ   يُنْكِرْه إِلَّا فَاسِدُ الإِيْمَانِ
وَأَتَى بِهِ القُرْآنُ تَصْرِيْحا وَتَعْرِ   يْضا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
وَهِيَ الزِّيادَةُ قَدْ أَتَت فِي يُوْنُسَ   تَفْسِيْرُ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالقُرْآنِ
وَهُوَ المَزِيْدُ كَذَالِكَ فَسَّرَهُ أَبُو   بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الإِيقَانِ
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُو   هُمْ بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةَ الإِحْسَانِ

وقال رحمه الله :

والناس في إثبات الرؤية وعدمها طرفان ووسط فقسم غلوا في إثباتها في الدنيا والآخرة ، وهم الصوفية وأحزابهم ، وقسم نفوها في الدنيا والآخرة ، وهم الجهمية والمعتزلة ، والوسط هم أهل السنة الذين أثبتوها في الآخرة حسبما تواترت به الأدلة .

الرد على شبهات المخالفين :

قد استدلت المعتزلة بقوله تعالى لموسى : ﴿ **لَن تَرَانِي** ﴾ . (الأعراف : ١٤٣) ، وبقوله عز وجل : ﴿ **لَا تُدْرِكُه الأَبْصَارُ** ﴾ . (الأنعام : ١٠٣) ، على نفي الرؤية في الآخرة والآيتان دليل عليهم .

أما الآية الأولى فالاستدلال بها على ثبوت الرؤية من وجوه :

- أحدها : أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم أعلم الناس بربه في وقته أن يسأل الله ما لا يجوز عليه بل هو عندهم من أعظم المحال .
- الثاني : أن الله لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر

سؤاله وقال : ﴿ **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِين** ﴾ . (هود : ٤٦) .

- الثالث : أنه تعالى قال : ﴿ **لَنْ تَرَانِي** ﴾ . ولم يقل : إني لا أُرى أو لا يجوز رؤيتي ، أو لست بمرئيٍّ ، والفرق بين الجوابين ظاهر ، ألا ترى من كان في كفه حجر وظنه رجل طعاما فقال أطعمنيه ، فالجواب الصحيح أنه لا يأكل ، أما إذا كان طعاما صح أن يقال إنك لن تأكله ، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئيٌّ ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى .
- الوجه الرابع : وهو قوله تعالى : ﴿ **وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ﴾ . (الأعراف : ١٤٣) . فأعلمهم أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف .
- الوجه الخامس : أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرا ، وذلك ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كان محالاً لكان نظير أن يقول:إذا استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام والكل عندي سواء .
- الوجه السادس : قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دكًّا** ﴾ . فإذا جاز للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته ، ولكن الله تعالى أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف .
- الوجه السابع : أن الله كلم موسى وناداه وناجاه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ؛ ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه وأن يجمعوا بينهما .

وأما دعواهم تأبيد النفي بلن وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة ففاسد ، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة ، فكيف إذا أطلقت قال تعالى : ﴿ **وَلَن يتمنوه أَبَداً** ﴾ . (البقرة : ٩٥) ، مع قوله :

﴿ وَنَادَوا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّك ﴾ . (الزخرف : ٧٧) ، ولأنها لو كانت لما جاز تحديد الفعل بعدها ، وقال تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرحَ الأَرْضَ حَتَّى يأذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي ﴾ . (يوسف:٨٠). فثبت أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد .

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله :

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّداً   قَوْلُهُ ارْدُدْ وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا .

أما الآية الثانية فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف وهو أنه تعالى ساقها في سياق المدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به ، وإنما يمدح إذا تضمن أمرا وجوديا كمدحه بنفي السِّنَة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفى اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ، ونفى الشريك والصاحب والولد والظهير المتضمن كمال الربوبية والألوهية ، ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ، ونفى النسيان المتضمن كمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرا ثبوتيا ، فإن المعدومات تشارك الموصوف بهذا العدم ، ولا يوصف بالكمال بأمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فإن المعنى أنه يرى ولا يدرك ، ويعلم ولا يحاط به علما ، فقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ . يدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شيء وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا ﴾ . (الشعراء :٦١،٦٢) ، فلم ينف موسى الرؤية إنما نفى الإدراك ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يرى ولا يدرك ، ويعلم ولا يحاط به علما ، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية ، كما روى عن ابن عباس أنه قيل له في ذلك فقال للسائل : أفترى السماء ؟ قال : نعم . قال : أفتدركها ؟ قال : لا . قال : الله أعظم وأجل .

وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله ، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ، وفيه دليل على علو الله على خلقه ؛ ولهذا ألزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفي الرؤية وقالوا: كيف نعقل رؤية بغير جهة ؟

قال : وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا لا لامتناع الرؤية ، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها لا لامتناع في ذات المرئي ، بل لعجز الرائي ؛ فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته ، ولهذا لما تجلى الله للجبل خر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابسٌ إلا تدهده ، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية المَلَك في صورته إلا من أيده الله ، كما أيد نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قال الله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الْأَمْرُ** ﴾ . (الأنعام : ٨) ، قال غير واحد من السلف : لا يطيقون أن يروا الملك في صورته ، فلو أنزلنا ملكا لجعلناه في صورة بشر وحينئذٍ يشتبه عليهم هل هو بشر أم ملك[1].

مسألة : قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما سئل : هل رأى ربه ؟ يعني ليلة المعراج فقال : « نور أنَّى أراه »[2].

قال شيخ الإسلام معناه كان ثَمَّ نور وحال دون رؤيته نور فأنى أراه ، قال ويدل عليه أن في بعض ألفاظ الحديث الصحيح : « هل رأيت ربك ؟ فقال : « **رأيت نورا** »[3].

---

(١) مجموع الفتاوى .

(٢) رواه مسلم (١٢/٣) الإيمان ، والترمذي (١٧٢/١٢) التفسير بلفظ « **نوراً أنى أراه** » .

(٣) رواه مسلم كذلك (١٢/٣) الإيمان عن أبي ذر رضي الله عنه .

وقد أغفل هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال : « **نورٌ إنّى أراه** » . على أنها ياء النسب والكلمة كلمة واحدة ، وهذا خطأ لفظاً ومعنى وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى ربه وكان قوله : « **أنّى أَرَاهُ** » كالإنكار للرؤية وحاروا في الحديث ورده بعضهم باضطراب لفظه ، وكان هذا عدولا عن موجب الدليل .

وقد حكى الدارمي إجماع الصحابة على أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يَرَ ربه ليلة المعراج ، وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك . وقال بعضهم : ابن عباس لم يقل رآه بعين رأسه وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال : إنه رآه و لم يقل بعين رأسه ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس ويدل على صحته حديث أبي ذر وهو قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث الآخر : « **حِجَابُهُ النُّور** »[1]، فهذا النور هو والله أعلم النور المذكور في حديث أبي ذر « **رأيت نورا** » .

قال شيخ الإسلام : « وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال : « رأى محمد ربه بفؤاده مرتين »[2]وعائشة أنكرت الرؤية فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين ، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد .

والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد ، تارة يقول رأى محمد ربه ، وتارة يقول: رآه محمد ، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه وكذلك الإمام أحمد ، وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ، ولا يثبت ذلك عن أحد من الصحابة ، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت

---

(١) رواه مسلم (١٣/٣) الإيمان وأول الحديث : « **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام** » .

(٢) مسلم – (٧/٣) الإيمان عن ابن عباس قال : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ . قال رآه بفؤاده مرتين .

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : هل رأيتَ رَبَّكَ ؟ . فقال : « **نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ** » .

وقال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرِ** ﴾ . (الإسراء : ١) ، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى ، وكذلك قوله : ﴿ **أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى** ﴾ ، ﴿ **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ . ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى . (النجم : ١٢، ١٨) .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ** ﴾ . (الإسراء : ٦٠) ، قال : هي رؤيا عين أُريها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به[1]، وهذه رؤيا الآيات لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج ، فكان ذلك فتنة لهم حيث صدقه قوم وكذبه قوم ، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه ، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك ، ولو كان وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه .

وقد ثبت في النصوص الصحيحة واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤيا نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصة ، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة كما يرون الشمس والقمر[2].

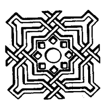
وسئل شيخ الإسلام عن أقوام يَدَّعُونَ أنهم يرون الله بأبصارهم في الدنيا وأنهم يحصل لهم بغير سؤال ما حصل لموسى بالسؤال فأجاب : أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة ، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في

---

(١) رواه البخاري (٨/٣٩٨) التفسير .

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٥٠٧-٥١٠) بتصرف .

الدنيا بأبصارهم ، ولم يتنازعوا إلا في النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وثبت في الصحيح أنه قال : « **واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت** »[1].
ومن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة ، لا سيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى فإن هؤلاء يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا[2].



(١) رواه مسلم (١٨/٥٦) الفتن ، والترمذي (٩/٨٧) الفتن .
(٢) مجموع الفتاوى (٦/٥١٢) .

توحيـد القصـد والطلـب
(توحيـد الألوهيـة)

النوع الثاني من التوحيد بعد توحيد المعرفة والإثبات هو توحيد القصد والطلب ، أو توحيد الألوهية ومعنى هذا التوحيد الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل وحده هو الإله المستحق للعبادة ، وإفراده عز وجل بجميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة .

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ما ملخصه :

وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **فَاعْبُدْه وَتَوَكَّلْ عَلَيْه وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ . (هود : ١٢٣) ، وقوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُلْ حَسْبِيَ الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ** ﴾ . (التوبة : ١٢٩) .

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره ، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، وهو معنى قوله ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ . فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة ، وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار ، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم الَّذِي خلَقَكُمْ وَالَّذِيْنَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ . (البقرة : ٢٢) . فهذا أول أمر في القرآن .

وقال : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوْحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِن**

إِلَهٍ غَيْرُه ﴾ . (المؤمنون : ٢٣) .

فهذه أول دعوة رسول بعد حدوث الشرك وقال هود لقومه : ﴿ **اعْبُدُوا الله مَالَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُه** ﴾ . (الأعراف : ٦٥) ، وقال صالح لقومه : ﴿ **اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُه** ﴾ . (هود : ٦١) ، وقال شعيب لقومه : ﴿ **اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُه** ﴾ . (الأعراف : ٨٥) .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيه أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون** ﴾ . (الأنبياء : ٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ من رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾. (الزخرف : ٤٥) ، وهذا التوحيد هو أَوَّلُ واجب على المكلف ، وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من كان آخر كلماته لا إله إلا الله دخل الجنة** »[1].

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح وأبدأ فيه وأعاد ، وضرب لذلك الأمثال بحيث إن كل سورة في القرآن فيها الدلالة على هذا التوحيد[2].

والنوع الأول من التوحيد أعظم حجة على النوع الثاني : واحتج الله تعالى به في كتابه في غير موضع ، فإنه لا يكون إلها مستحقا للعبادة إلا من كان خالقا رازقا مالكا متصرفا لجميع الأمور حَيّا قيوما سميعا بصيرا عليما حكيما موصوفا

---

(١) رواه أبو داود (٣١٠٠) الجنائز، ورواه الحاكم (٣٥١/١) الجنائز وقال : هذا حديث صحيح الإسناد وقال الذهبي:صحيح وحسنه الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار كما في الفتوحات الربانية (١١٠،١٠٩/٤) ، وقال الألباني : أخرجه الحاكم وغيره بسند حسن وله شاهد .

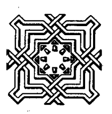
(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص (٣٦) المكتب الإسلامي .

بكل كمال منزها عن كل نقص ، غنيا عما سواه مفتقرا إليه كل ما عداه ، مختارا لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، ولا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض ، ولا تخفى عليه خافية ، وهذه صفات الله عز وجل لا تنبغي إلا له ولا يُشْرِكه فيها غيره ، فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو ، ولا تجوز لغيره ، فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والبدء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب إفراده بالعبادة دون سواه ولا يشرك معه في عبادته أحد كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ من السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِن الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لله أَنْدَادا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ . (البقرة : ٢١،٢٢) ، وقال تعالى : ﴿ **أَمَّن يَبْدَأُ الخلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه ومَنْ يرزُقُكُم من السَّمَاءِ والأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ الله قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ . (النمل : ٦٤) .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، قُلْ مَن رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شيءٍ وَهُو يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْه إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لله قُل فَأَنَّى تُسْحَرُونَ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ الله مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إلَه إذَاً لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ . (المؤمنون : ٨٤:٩٢) ، وقال تعالى : ﴿ **الله الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِن شيءٍ سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ . (الروم : ٤٠) ، وغير ذلك من الآيات التي يقرر الله تعالى فيها ربوبيته ، ويمتن بنعمه وتفرده بأنواع التصرفات وَعُبَّادُ الأوثان يقرون بها لله عز وجل ، ويقرون بأن أوثانهم التي يدعون من دونه

مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئا ، ويقرون أن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والضر والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات ليس إليهم ولا إلى أوثانهم من ذلك شيء ، بل هو الخالق وماعداه مخلوق ، وهو الرب وما عداه مربوب ، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء سووهم به في استحقاق العبادة ، وأنكروا أن يكون تفرد بها ، وقالوا لمن قال لهم قولوا لا إله إلا الله : ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً واحِداً إِنَّ هَذَا لَشيءٌ عُجَابٌ** ﴾ . (ص : ٥) .

فألزمهم الله تعالى بما أقروا به من التفرد بالربوبية أن يعملوا بمقتضى ذلك ، ويلتزموا لازمه من توحيد الإلٰهية ، وأن يكفروا بما اتخذوا من دونه ، كما أقروا بعجزهم وعدم اتصافهم بشيء يستحقون به العبادة ، بل هم أقل وأحقر وأعجز من أن يخلقوا ذبابا أو أن يستنقذوا منه شيئا سلبه[١] .



(١) معارج القبول (١/٣٥٠-٣٥٩) باختصار .

معنى لا إله إلا الله

معنى هذه الكلمة لا إله إلا الله : لا معبود بحق إلا الله ، ولا يستحق العبادة أحدٌ إلا الله عز وجل ، وهي تتضمن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، ويلزم لفهم هذه الكلمة تحديد معنى العبادة وأنواعها .

قال شيخ الإسلام : العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل .
وقال أيضا : اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

وقال القرطبي : أصل العبادة التدين والخضوع وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى .

وقال ابن كثير : العبادة في اللغة من الذلة ، يقال : طريق معبد وغير معبد ، أي مذلل .

وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف وهكذا ذكر غيرهم من العلماء .

فمن العبادات الباطنة :

- **المحبة** : فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في المحبة التي لا تصلح إلا لله فهو مشرك كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾ . (البقرة : ١٦٥،١٦٧) .

- **ومنها التوكل** : فلا يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، قال الله تعالى : ﴿ **وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إن كُنتُمْ مُؤمِنِينَ** ﴾ . (المائدة : ٢٣) .

وقال عز وجل : ﴿ **وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوكَّلِ المُؤْمِنُون** ﴾ . (المجادلة : ١٠) ، والتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أصغر .

* **الخوف** : وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره ، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله قال تعالى : ﴿ **وَإِيَّاىَ فَارْهَبُون** ﴾ . (البقرة : ٤٠) ، وقال تعالى : ﴿ **فَلَا تَخْشَوا النَّاسَ وَاخْشَوْن** ﴾ . (المائدة : ٤٤) ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُو وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِه يُصِيبُ بِهِ مَن يَّشَاءُ مِن عِبَادِه وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم** ﴾ . (يونس : ١٠٧) .

* **ومنها الرجاء** : فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل قال علي رضي الله عنه : لا يرجون عبدٌ إلا رَبَّه .

ومن العبادات الظاهرة :

* **الصلاة والركوع والسجود** : قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ . (الحج : ٧٧)

* **ومنها الدعاء** : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ . (غافر : ٦٠) .

* **ومنها الذبح** : قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَرِيْكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ** ﴾ . (الأنعام : ١٦٢،١٦٣) ، والنسك : الذبح وقال عز وجل : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر** ﴾ . (الكوثر : ٢) .

* **ومنها النذر** : قال الله تعالى : ﴿ **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُم** ﴾ . (الحج : ٢٩) .
  وقال تعالى : ﴿ **يُوفُونَ بالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً** ﴾ . (الإنسان : ٧) .

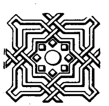
* **ومنها الطواف** : فلا يطاف إلا ببيت الله قال الله تعالى : ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ . (الحج : ٢٩) .
* **ومنها التوبة** : قال الله تعالى : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيْعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ . (النور : ٣١) .
* **ومنها الاستعاذة فيما لا يقدر عليه إلا الله** : قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ . (الفلق : ١) .
* **ومنها الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله** : قال تعالى : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيْثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ** ﴾ . (الأنفال : ٩) .

فمن أشرك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص بالخالق تعالى من هذه العبادات أو غيرها ، فهو مشرك[1] وإنما ذكرنا هذه العبادات خاصة لأن عُبَّاد القبور صرفوها للأموات من دون الله تعالى ، أو أشركوا بين الله تعالى وبينهم فيها ، وإلا فكل نوع من أنواع العبادة مَنْ صرفه لغير الله أو أشرك بين الله تعالى وبين غيره فيه فهو مشرك قال الله تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً** ﴾ . (النساء : ٣٦) .

وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفّر الله به المشركين وأباح به دماءهم وأموالهم ونساءهم ، وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرزاق المدبر ، ليس له شريك في ملكه وإنما كانوا يشركون به في العبادات ونحوها وكانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك   إلا شريكا هو لك
تملكه وما ملك

(١) بشرط أن لا يكون جاهلاً أو متأولا أو مكرها ، لثبوت العذر بالجهل والتأويل والإكراه وانظر بحث العذر بالجهل للمصنف .

فأتاهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالتوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله ، الذي مضمونه أن لا يعبد إلا الله ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلا عن غيرهما فقالوا : ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَىءٌ عُجَابٌ** ﴾[1]. (ص : ٥) .



(١) انظر تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (٤٢:٣٩) باختصار .

فضــل لا إلــه إلا اللــه

قال في معارج القبول ما ملخصه :

كلمة الشهادة هي سبيل الفوز والسعادة ، الفوز بدخول الجنة والنجاة من النار كما قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾ . (آل عمران:١٨٥) ، ولا سعادة في الدارين إلا عن طريقها ، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار ، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة ، وبها تؤخذ الكتب باليمين والشمال ويثقل الميزان أو يخف ، وبها النجاة من النار بعد الورود ، وبعدم التزامها البقاء في النار ، وبها أخذ الله الميثاق ، وعليها الجزاء والمحاسبة ، وعنها السؤال يوم التلاق إذ يقول تعالى : ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ . (الحجر : ٩٢،٩٣) .

وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم إليها ، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النِّعم فقدمها أولا قبل كل نعمة فقال تعالى : ﴿ **يُنَزِّلُ الملائِكَةَ بالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَّشَاءُ مِن عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ** ﴾ . (النحل : ٢). وهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة .

وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه ، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها متشعبة منها مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها ، فهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل : ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِالله فَقَد استَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا** ﴾ . (البقرة : ٢٥٦) . وهي العهد الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول : ﴿ **لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً** ﴾ . (مريم : ٨٧).

وهي الحسنى التي قال الله عز وجل : ﴿ **فَأَمَّا مَن أَعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾ . (الليل : ٥،٦،٧) ، وهي كلمة الحق التي قال الله عز وجل : ﴿ **إِلَّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُون** ﴾ . (الزخرف : ٨٦) . وهي كلمة التقوى التي قال الله عز وجل : ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا** ﴾ . (الفتح : ٢٦) ، وهي القول الثابت الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول : ﴿ **يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ . (إبراهيم : ٢٧) ، كما في الصحيح عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم[1]، وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلا إذ يقول تعالى : ﴿ **ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء** ﴾ . (إبراهيم : ٢٤) ، أصلها ثابت في قلب المؤمن ، وفرعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله عز وجل .

وهي الحسنة التي قال الله عز وجل : ﴿ **مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا** ﴾ . (النمل : ٨٩) .

وهي المثل الأعلى الذي ضربه الله عز وجل : ﴿ **وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ** ﴾ . (الروم : ٢٧) .

وهي سبب النجاة كما في مسلم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سمع مؤذنا يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله » ، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **خرجت من النار** »[2] وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى

---

(١) رواه البخاري (٨ /٣٧٨) التفسير بلفظ « **المؤمن إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله** : ﴿ **يثبت الله** ... ﴾ الآية » .

(٢) رواه مسلم (٨٤/٤) الصلاة .

آله وسلم « **من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**»[1].
وفي رواية : « **على ما كان من عمل** » . وهي أفضل ما ذكر الله به ، وأثقل شيء في الميزان ، ويكفي في فضل لا إله إلا الله إخبار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنها أعلى جميع شعب الإيمان كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة - أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** »[2]. الحديث[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٤/١) الأنبياء ، ومسلم (٢٢٧/١) الإيمان وقال النووي : هذا حديث عظيم الموقع وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها فاختصر صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هذه الأحرف ما يباين به جميعهم وسمى عيسى عليه السلام كلمة لأنه كان بكلمة كن فحسب من غير أب بخلاف غيره من بني آدم وروح منه أي مخلوقة من عنده - (٢٢٧/١) باختصار .

(٢) رواه البخاري (٥/١) الإيمان / ومسلم (٦/٢) الإيمان بلفظه .

(٣) معارج القبول (٣٦٩/١-٣٧٢) وابن ماجة (٥٧) المقدمة،والنسائي (١١٠/٨) شعب الإيمان .

شـــروط صحـــة الشهادتيـــن

[علامات قبولها عند الله عز وجل]

ينبغي أن يعلم أن المقصود بهذه الشروط صحتها عند الله عز وجل حتى ينتفع بها قائلها في الآخرة فأغلبها من أعمال الباطن ، ولكن يحكم في الدنيا بإسلام من نطق بالشهادتين ثم يطالب بعد ذلك بفرائض الشريعة وليس الأمر كما يظن بعض أهل زماننا أننا لا نقبل هذه الشهادة من أحد حتى تتوفر فيه هذه الشروط السبعة ولو تدبروا فيها لعلموا أنهم لا سبيل لهم إلى تحقيقها من أحد فهذه الشروط هي العلم واليقين والقبول والانقياد والإخلاص والصدق والمحبة فكيف يقيسون اليقين والقبول والإخلاص والمحبة حتى يحكموا على الناس بعد ذلك بالإسلام أو عدمه ؟ .

١- العلم : أي بمعناه المراد منها نفيا وإثباتا .المنافي للجهل بذلك ، قال الله عز وجل : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله** ﴾ . (محمد : ١٩) ، وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة** »[١].

٢- اليقين : أي المنافي للشك قال الله عز وجل : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ . (الحجرات : ١٥) ، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

(١) رواه مسلم (٢١٨/١) الإيمان .

وسلم : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍ فيها إلا دخل الجنة** »[1].

٣- القبول : لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه كما قال الله عز وجل : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ** ﴾ . (الصافات : ٣٥،٣٦) ، فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله وتكذيبهم من جاء بها ، فلم ينفوا ما نفته ، ولم يثبتوا ما أثبتته .

٤- الانقياد : لما دلت عليه المنافي لترك ذلك قال الله عز وجل : ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له** ﴾ . (الزمر : ٥٤) ، وقوله سبحانه : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليماً** ﴾ . (النساء : ٦٥) ، ورُوي عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** »[2].

٥- الصدق : المنافي للكذب وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطىء قلبه لسانه كما أخبر الله عز وجل عن المنافقين فقال : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ . (البقرة : ٨،٩) .

---

(١) رواه مسلم (١/٢٢٤-٢٢٦) الإيمان عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد (شك الأعمش) .

(٢) قال النووي في أربعينه : رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح وقال ابن رجب : خرج هذا الحديث الحافظ أبو نعيم في كتاب الأربعين وشرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار ثم قال : « تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه ثم ذكرها – باختصار من جامع العلوم (٣٦٤) ، والحديث ضعفه الشيخ ناصر في ظلال السنة رقم ٢١٥ والمشكاة ، وضعفه أيضاً الأرناؤوط في تخريج شرح السنة وجاسم الفهيد في النهج السديد رقم ٤٤٧ .

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما مِن أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار** »[1].

٦- الإخلاص : وهو تصفية العمل بصالح النية عن شوائب الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ . (الزمر : ٣) ، وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** »[2].

٧- المحبة : لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ، ولأهلها العاملين الملتزمين لشروطها ، وبغض ما ناقض ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ . (البقرة : ١٦٥) ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ، وولده والنّاس أجمعين** »[3].[4].

(١) رواه البخاري (١/٢٢٦) العلم بلفظه ، ومسلم (١/٢٤٠) الإيمان بدون قوله « **صدقا من قلبه** » .

(٢) رواه مسلم (١/٢٤٤) الإيمان .

(٣) رواه البخاري (١/٥٨) الإيمان ، ومسلم (٢/١٥) الإيمان، والنسائي (٨/١١٤، ١١٥) الإيمان، وابن ماجة (٦٧) المقدمة .

(٤) هذه الشروط السبعة مختصرة من معارج القبول (١/٣٧٧-٣٧٨) .

الجمع بين أحاديث فضل الشهادتين
وأحاديث الوعيد على الكبائر

اعلم أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب لدخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينها وبين أحاديث الوعيد التي فيها من فعل ذنب كذا فالجنة عليه حرام ، أو لا يدخل الجنة من فعل كذا ، لإمكان الجمع بين النصوص بأنها جنان كثيرة كما أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبأن أهل الجنة أيضا متفاوتون في دخول الجنة وفي السبق وارتفاع المنازل ، فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكبه ، أو لا يدخلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنب ، وهذا واضح مفهوم للعارف بلغة العرب ، وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل الشهادتين على النار وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حُمَماً لإمكان الجمع بأن تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين ، ثم يغتسلون في نهر الحياة ويدخلون الجنة ، فحينئذٍ قد حرموا عليها فلاتمسهم بعد ذلك ، أو يكون المراد أنهم يحرمون مطلقا على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها ، وهي ما عدا الطبقة العليا من النار التي يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء الله تعالى عقابه وتطهيره بها على قدر ذنبه ، ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد .

وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود ، وهذا بعيد جداً ، فإن كثيرا منها كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود ، وبعضها كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهؤلاء منهم من يقول: هذه الأحاديث

منسوخة ، ومنهم من يقول: هي محكمة ولكن ضم إليها شرائط ويلتفت في هذا إلى أن زيادة النص هل هي نسخ أم لا ، والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور ، وقد صرح الثوري بأنها منسوخة وأنه نسختها الفرائض والحدود ، وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح ، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل هذا كثيرا ويكون مرادهم أن آيات الفرائض تبين توقف دخول أهل الجنة الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم ، وقالت طائفة : تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخر في بعضها : « **من قال لا إله إلا الله مخلصا** » ، وفي بعضها : « **متيقنا** » ، وفي بعضها : « **مصدقا بها قلبه لسانه** » ، وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين .

فتحققه بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله أن لا يأله قلبه غير الله حبا ورجاء وخوفا وطمعا وتوكلا واستعانة وخضوعا وإنابة وطلبا .

كما ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشأها طاعة غير الله عز وجل أو خوفه أو رجاؤه أو التوكل عليه ، كما ورد إطلاق الكفر والشرك على الرياء وعلى الحلف بغير الله عز وجل وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول ما شاء الله وشاء فلان وكذلك قوله مَالِى إلا الله وأنت وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر ، والرق المكروهة وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون .

كذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله ، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشأها من هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم ، ومن أتى حائضا أو امرأة في دبرها ومن شرب الخمر في المرة الرابعة ، وإن كان ذلك لا يخرج من الملة بالكلية لهذا قال السلف : كفر دون كفر ، وكذلك ترك الصلاة كما في الحديث : « **بين المرء والكفر ترك**

الصلاة »[1]. ويشهد لهذا القول أيضا الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **تَعِسَ عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش** »[2]. فدل هذا على أن من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده ، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه ويدل أيضا عليه أن الله تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ . (يس : ٦٠) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:في هذا الحديث ونحوه أنها فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدة بقوله : « **خالِصاً من قلبه** » « **غير شاك فيها** » « **بصدق ويقين** » ، فإن حقيقة التوحيد انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا فإذا مات على تلك الحال نال ذلك ، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة ، وتواترت بأن كثيرا ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من بنى آدم ، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله ، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله ، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص .

وأكثر من يقولها تقليدا وعادة ، ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه ، وغالب

---

(١) رواه مسلم بلفظ « **بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة** » ، (٧١/١) الإيمان ورواه الترمذي ، بلفظ « **بين العبد وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة** » ، (٨٩/١٠) وفي أخرى « **بين العبد وبين الكفر** » .

(٢) رواه البخاري (٨١/٦) الجهاد . قال ابن الأثير : « **تعس** » دعا عليه بالهلاك ، « **القطيفة** » ثياب خز « **شيك** » شاكته الشوكة ، « **انتقش** » الانتقاش هو إخراج الشوكة من الجسم .

من يفتن عند الموت وفي القبور أصحاب المعاصي وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم من أقرب الناس من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُقْتَدُون** ﴾ . (الزخرف : ٢٣) ، وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فإنه إن قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب أصلا ، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء ، فإذاً لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهة لما أمر الله ، وهذا هو الذي يحرم على النار ، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبا إلا محى كما يمحو الليلُ النهار ، فإن قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مصر على ذنب أصلا ، فيغفر له ويحرم على النار ، وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح لها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة فيحرم على النار ، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه ، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته ومات مصرا على ذلك فإنه يستوجب النار .

فصل في بيان فضل التوحيد

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلّا لِيَعْبُدُون** ﴾ . (الذاريات : ٥٦) .

ومعنى الآية أن الله تعالى ما خلقهم إلا من أجل أن يفردوه بالعبادة ، وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور ، وذلك هو حقيقة دين الإسلام لأن معنى الإسلام هو الاستسلام لله المتضمن غاية الانقياد في غاية الذل والخضوع وقال مجاهد في تفسير الآية : إلّا لآمرهم وأنْهَاهُم واختاره الزجاج وشيخ الإسلام .

ومناط العبادة هو غاية الحب مع غاية الذل ، ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر ، ولذا قال من قال من السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد .

وقال عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَن اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ . (النحل : ٣٦) .

والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد ، وقال مجاهد : الطاغوت: الشيطان في صورة الإنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم .

وقال مالك : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله قال الشيخ سليمان بن عبد الله وهو صحيح لكن لابد من استثناء من لا يرضى بعبادته .

وقال ابن القيم رحمه الله : ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله

أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته .

وأما معنى الآية فأخبر تعالى أنه بعث في كل أمة أي : (في كل طائفة وقرن من الناس) رسولا بهذه الكلمة : ﴿ **أن اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت** ﴾ ، أي اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه ، فلهذا خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب .

وعن معاذ بن جبل قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على حمار فقال لي : « **يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟** » . فقلت : الله ورسوله أعلم . فقال : « **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئا** » . فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : « **لا تبشرهم فيتكلوا** »[1].

قوله : « **أن يعبدوه ولا يُشركُوا به شيئا** » ، أي يوحدوه بالعبادة وحده ولا يشركوا به شيئا ، وفائدة هذه الجملة بيان أن التجرد من الشرك لابد منه في العبادة ، وإلا فلا يكون العبد آتيا بعبادة الله، بل مشركاً، وهذا هو معنى قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : إن العبادة هي التوحيد ، لأن الخصومة فيه.وقوله : « **وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا** » .

قال شيخ الإسلام : كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل ، ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق .

---

(١) رواه البخاري (٥٨/٦) الجهاد ، ومسلم (٢٣٠/١-٢٣٢) الإيمان .

وعن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال : « **يصاح برجل من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقال : أفلك عذر أو حسنة ؟ فيهاب الرجل : فيقول : لا فيقال : بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة** »[1].

قال ابن القيم رحمه الله : فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض قال : وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مدى البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يعذب ، ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة ، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول قال الله تعالى : « **يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني لغفرت لك ، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقُرابها مغفرة** »[2].

---

(١) رواه الترمذي (١٠٧،١٠٦/٢) وحسنه ، وابن ماجة (٤٣٠٠) والحاكم (٦/١) وقال هو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ووافقهما الألباني في الصحيحة رقم (١٣٥) ، وراوه أحمد (٢١٣/٢) ووافقه .

(٢) رواه الترمذي (٦٠،٥٩/١٣) الدعاء وقال:هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفيه كثير بن فائد لم يوثقه إلا ابن حبان ، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٢٧) بشاهده عند الدارمي (٣٢٢/٢) وأحمد (١٧٢/٥) عن أبي ذر وآخر عند الطبراني عن ابن عباس .

قوله « **ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا** » شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة وهي السلامة من الشرك كثيره وقليله صغيره وكبيره ولا يسلم من ذلك إلا من سلم الله تعالى وذلك هو القلب السليم كما قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُون إِلَّا مَن أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ . (الشعراء : ٨٨،٨٩) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى الحديث : ويعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك ، فلو لقى الموحد الذي لم يشرك بالله شيئا البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة ، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب ، لأنه يتضمن مَن محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض ، فالنجاسة عارضة والدافع لها قوى .

وفي الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة** » . قلت : وإن زنى وإن سرق قال : « **وإن زنى وإن سرق** »[1].

(١) رواه البخاري (٢٨٣/١٠) اللباس ، ومسلم (٩٤/١) الإيمان..

فصل في التحذير من الشرك

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ﴾ . (النساء : ٤٨) ، تبين بهذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه ، وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة إن شاء غفر لمن لقيه به ، وإن شاء عذبه ، وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله ، لأنه أقبح القبيح ، وأظلم الظلم ، وَتَنَقُّصٌ لرب العالمين ، وصرف خالص حقه لغيره ، وعدل غيره به كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ . (الأنعام : ١) ، وفي الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب ، وعلى المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر يخلدون في النار وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار .

ولا يجوز أن يحمل قوله : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ ﴾ ، على التائب ، فإن التائب من الشرك مغفور له كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيْعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ ﴾ . (الزمر : ٥٣) ، فهاهنا عَمَّمَ وأطلق ، لأن المراد به التائب ، وهناك خص وعلق لأن المراد به من لم يتب .

وقال عز وجلّ مبينا عظم الشرك : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِيْنَ مِن أَنْصَار ﴾ . (المائدة : ٧٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيْداً ﴾ . (النساء : ١١٦) ، وقال عز وجل لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثنى عليهم : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِيَ بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . (الأنعام : ٨٨)

وقال لخاتمهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِيْنَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين بِلِ الله فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِين** ﴾ . (الزمر : ٦٥، ٦٦) .

فالشرك أعظم ذنب عُصي الله به ، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضل من فاعله وأنه مخلد في النار أبدا ، لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع ، وأنه لو قام لله تعالى قيام السَّارية ليلا ونهارا ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها ، ولو كان نبيا رسولا ولو كان محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهذا من تقدير وقوع المحال ، وهو كثير في اللغة العربية وإلا فلم يرسل الله تعالى رسولا إلّا معصوما من جميع المعاصي فضلا عن الشرك : ﴿ **الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه** ﴾ . (الأنعام : ١٢٤) والأحاديث في التحذير من الشرك كثيرة متواترة :

* فمنها ما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **مَن مَاتَ يُشْرِكُ بالله شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ** » . قال : وقلت أنا « ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة »[1].

* ومنها ما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجل فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ فقال : « **من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار** »[2].

* ومنها ما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أي الذنب أعظم عند الله ؟

---

(١) رواه مسلم (٢/٩٢) الإيمان .

(٢) رواه مسلم (٢/٩٣) الإيمان .

قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك »[1] .

ومنها ما رواه البخاري عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ . (الأنعام : ٨٢) ، قال لما نزلت هذه الآية ، قالوا : فأينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ليس بذاكم ألم تسمعوا إلى قول لقمان** : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[2] ». (لقمان : ١٣) ، قال شيخ الإسلام ما ملخصه : والذي شق عليهم أنهم ظنوا أن الظلم هو ظلم العبد نفسه وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه ، فبين لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم وكان من أهل الأمن والاهتداء كما كان من أهل الاصطفاء في قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِن عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ** ﴾ . (فاطر : ٣٢) ، وهذا لا ينافي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب كما قال تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه** ﴾ . (الزلزلة : ٧،٨) ، والمقصود أن الشرك هو أعظم ما نهى الله عنه ، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به ، ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عز وجل ونفي الشرك ، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد ، ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أولها كما في آية النساء : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي القُرْبَى ..** ﴾ . (النساء : ٣٦) .

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢/٨) التفسير ، ومسلم (٨٠/٢) الإيمان .

(٢) رواه البخاري (٨٧/١) الإيمان ، ومسلم (١٤٣/٢) الإيمان .

وفي آية الأنعام التي طلب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم البيعة عليها وهي قوله تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبالوَالِدَينِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** .. ﴾ . (الأنعام : ١٥١) الآية ، وكما في آية الإسراء : ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وبالوَالِدَينِ إِحْسَاناً** ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُورا** ﴾ . (الإسراء : ٣٩) ، فابتداء تلك الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها بذلك أيضاً . وكذلك في أحاديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الجامعة للأوامر والنواهي يبدأ في الأوامر بالتوحيد وفي النواهي بالشرك كما في حديث معاذ عندما سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني عن النار قال : « **لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا** »[1] وذكر الحديث وكذا في أحاديث أركان الإسلام .

(١) رواه الترمذي (٨٨،٨٧/١٠) الإيمان ، ورواه أحمد (٢٣١/٥) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه البغوي في شرح السنة (٢٦،٢٥/١) الإيمان . وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢١١٠) .

فصل في بيان أمور من الشرك يفعلها العامة أكثرهم يجهل حكمها

هذه الأمور التي سنذكرها إن شاء الله تعالى غالبها من الشرك الأصغر ، ولكن يخشى مع المدوامة عليها والثقة بها أن تصير شركاً أكبر ، خاصة بعد إقامة الحجة على فاعلها إن كان جاهلا بحكمها .

* **فمن الشرك لُبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم ونحوها لرفع البلاء أو دفعه** لقول الله عز وجل : ﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله إِنْ أَرَادَنِي الله بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّه أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِه قُلْ حَسْبِيَ الله عَلَيْه يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ** ﴾ . (الزمر : ٣٨) .

قال في فتح المجيد : فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر وأنه شرك بالله ، وفي الآية بيان أن الله تعالى وسَمَ أهلَ الشِّرْكِ بدعوة غير الله والرغبة إليه من دون الله ، والتوحيد ضد ذلك وهو أن الله لا يرغب إلا إليه ولا يتوكل إلا عليه ، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأئمتها .

ويدخل في المنع كل ما يعلق لدفع ضُرٍّ أو لجلب نفع ، سواء كانت قلادة أو خرزة أو وتر أو تميمة أو ما أشبه ذلك ، ويدل على ذلك ما رواه في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه : « أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعض أسفاره فأرسل رسولاً : أن لا يبقين في رقبة بعير

قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت »[1]. وعن عقبة بن عامر مرفوعاً : « **مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَه ومن تعلق وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له** »[2].

وقوله « **من تَعَلَّقَ** »أي علقها متعلقا بها قلبه في طلب خير أو دفع شر . « والتميمة » قال المنذري : خرزة كانوا يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات ، وهذا جهل وضلالة إذ لا مانع ولا دافع إلا الله . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **إن الرُّقَى والتمائم والتِّوَلَةَ شِرْكٌ** »[3] . قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في متن كتاب التوحيد:« **والتمائم** » شيء يعلق على الأولاد من العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه[4] . قال الشيخ حامد الفقي في التعليق على قوله : « فرخص فيه بعض السلف » الرواية بذلك ضعيفة ولا تدل على هذا ، لأن فيها أن ابن عمرو كان يحفظه أولاده الكبار ويكتبه في ألواح ويعلقه في عنق الصغار ، فالظاهر أنه كان يعلقه في اللوح ليحفظه الصغير لا على أنه تميمة والتميمة تكتب في ورقة لا في لوح ، وبدليل تحفيظه الكبار وكيفما كان فهو عمل فردي

---

(١) رواه البخاري (١٤١/٦) الجهاد ، ومسلم (٩٥/١٤) اللباس ، ومالك (٩٣٧/٢) صفة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والبغوي في شرح السنة (٢٦/١١، ٢٧) ، وقال مالك: أرى ذلك من العين .

(٢) رواه أحمد (١٥٤/٤) والحاكم (٢١٦/٤) الطب وقال هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وقال في النهج السديد : فيه خالد بن عبيد المعافري لم يوثقه غير ابن حبان كما في « التعجيل » (ص ١١٤) . النهج السديد رقم ١٠٢ .

(٣) رواه أبو داود (٣٨٦٥) الطب ، وابن ماجه (٣٥٣٠) الطب ، وأحمد (١٣٨١/١) ، والحاكم (٢١٧/٤) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي في التلخيص والألباني في الصحيحة (٣٣١) .

(٤) فتح المجيد ص (١٢٧) وقد صح عنه الحديث السابق مرفوعا وموقوفا وله حكم الرفع .

من عبد الله بن عمرو لا يترك به حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعمل كبار الصحابة[1] اهـ . ملخصا . ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾ (يوسف : ١٠٦) .

* **ومن الشرك التبرك بالحجر والشجر ونحوهما :**

قال الله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى** ﴾ .
(النجم :١٩:٢٠) .

قال ابن كثير : اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وأما العزى فقال ابن جرير كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها ، أما مناة فقال البخاري رحمه الله في حديث عروة عن عائشة : « أنها صنم بين مكة والمدينة » . قال ابن هشام فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليّاً فهدمها عام الفتح » .

ومعنى الآية كما قال القرطبي : إن فيها حذفا تقديره : أفرأيتم هذه الآلهة أنفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : ومطابقة الآيات للترجمة من جهة أن عُبَّادَ هذه الأوثان إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها ، بتعظيمها ، ودعائها والاستعانة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ويؤملونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك ، فالتبرك بقبور الصالحين كاللات ، وبالأشجار والأحجار

(١) هامش (١٢٧) من فتح المجيد والأثر عن ابن عمر ضعيف كما ذكر الشيخ حامد وانظر النهج السديد رقم (١١١) .

كالعزى ومناة من ضمن فعل أولئك المشركين مع تلك الأوثان ، فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهى عُبَّادَ هذه الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك ، على أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك فالله المستعان .

وعن أبي واقد الليثي قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سِدْرَةٌ يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **الله أكبر إنها السنن . قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قال : إنكم قوم تجهلون ﴾** . (الأعراف : ١٣٨) ، **لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم** »[1].

قوله « **سدرة** » أي شجرة و « **العكوف** » هو الإقامة على الشيء في المكان .

قوله « **ينوطون بها أسلحتهم** » أي يعلقونها عليها للبركة . وفي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها .

قال في فتح المجيد : ففيه الخوف من الشرك ، وأن الإنسان قد يستحسن شيئا يظن أنه يقربه إلى الله وهو أبعد[2] ما يبعده عن رحمته ويقربه من سخطه ، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور ، من الغلو فيها وصرف جُلِّ العبادة لها ويحسبون أنهم على شيء .

---

(١) رواه الترمذي (٢٨،٢٧/٩) الفتن وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد (٢١٨/٥) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٧٦) وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣) وغيرهم وحسنه الألباني في الظلال وصحيح الترمذي .

(٢) الأولى أن يقول أكثر .

وقال كذلك : الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء ، ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم طلبتهم كطلب بني إسرائيل و لم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط ، فالمشرك مشرك وإن سمى شركه ما سماه ، كمن يسمي دعاء الأموات والذبح والنذر لهم ونحو ذلك تعظيما ومحبة فإن ذلك هو الشرك وإن سماه ما سماه وقس على ذلك .

* **ومن الشرك الذبح لغير الله :**

قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ** ﴾ . (الأنعام : ١٦٢،١٦٣) .

والنسك هوالذبح . قال ابن كثير رحمه الله : يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له : بأنه أخلص لله صلاته وذبيحته ؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها ، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ **فصلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ . (الكوثر : ٢) .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين ، وأجل العبادات البدنية الصلاة وأجل العبادات المالية النحر . ا هـ ملخصا .

وروى مسلم[1] عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأربع كلمات : « **لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى مُحدثا ، لعن الله من غير منار الأرض** » .

قال أبو السعادات : أصل اللعن : الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق السب

---

(١) في (ج٣ رقم ١٥٦٧) .

والدعاء . قوله : « **من ذبح لغير الله** » قال شيخ الإسلام رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ** ﴾ . (البقرة : ١٧٣) ، ظاهره أن ما ذبح لغير الله مثل أن يقول : هذه الذبيحة لكذا ، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ .

وقال الشيخ حامد الفقي رحمه الله : أصل الإهلال : رفع الصوت والإعلان فالمقصود بما أهل به لغير الله : ماأعلن عنه أنه منذور به لغير الله ، سواء كان هذا الإهلال والإعلان قبل الذبح كأن يقال : هذه شاة السيدة فلانة أو السيد فلان فيعرف الناس ذلك ، وأنها مُهَلٌّ بها لغير الله ولو سمى الذابح باسم الله ، فإن هذه التسمية اللفظية لاغية والعبرة بالإهلال الحقيقي بما انطوى عليه من قصد التقرب به لغير الله ، وكذلك أيضا ما سمى من الطعام أو الشراب أو غيره نذرا وقربة لغير الله ، فكل طعام يصنع ليوزع على العاكفين عند هذه القبور والطواغيت باسمها وعلى بركتها هو مما أهل به لغير الله[1].

* ومن الشرك النذر لغير الله عز وجل :

وذلك لأن النذر من العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل ، قال تعالى في مدح الأبرار : ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيْرا** ﴾ . (الإنسان :٧) .

وقال الله عز وجل : ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِن نفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُه** ﴾ . (البقرة : ٢٧٠) .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا**

(١) هامش فتح المجيد (١٤٦) .

يعصه »[1].

قوله : « **من نذر أن يطيع الله فليطعه** » . أي فليفعل ما نذره من طاعة الله ، وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشيء يرجوه كإن شفى الله مريضي فَعَلَيَّ أن أتصدق بكذا ، ونحو ذلك وجب عليه ، إن حصل له ما علق النذر على حصوله ، قال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار : النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول : يا سيدي فلان ، إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه منها : أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز ، لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق .

ومنها : أنه ظن أن الميت يتفرد بالأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر – إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليهم فحرام بالإجماع[2].

* **ومن الشرك الاستعاذة بغير الله عز وجل :**

الاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام ولهذا يسمى المستعاذ به : مَعَاذاً وملجأ قال صاحب فتح المجيد: وهي من العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده .

كما قال تعالى : ﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ العَلِيمُ** ﴾ . (فصلت : ٣٦) .

---

(١) رواه البخاري (٥٨٥/١١) الأيمان والنذور، وأبو داود (٥٢٦٥) الأيمان والنذور والنسائي (١٧/٧).

(٢) نقلا عن فتح المجيد (١٥٩) ونقله عنه ابن نجيم في البحر الرائق .

وأمثال ذلك فى القرآن كثير كقوله ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك فى العبادة .

وروى مسلم عن خولة بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله** » [1].

فقد شرع الله عز وجل لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته . قال القرطبي : « **أعوذ بكلمات الله التامات** » معناه الكاملات التى لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر .

وقال ابن القيم رحمه الله : من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداما ، وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه ، وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة ، فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به .

* ومن الشرك الاستغاثة بغير الله عز وجل ودعاء غيره :

والاستغاثة هي طلب الغوث ولا تكون إلا من مكروب ، والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه من المكروب وغيره .

قال ابن القيم رحمه الله : ومن أنواعه – يعني الشرك – طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا عمن استغاث به أو سأله أن

---

(١) رواه مسلم (٣٢،٣١/١٧) الذكر والدعاء ، ومالك (٩٧٨/٢) الموطأ ، والترمذي (٢/١٣) .

يشفع له إلى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده[1].

قال الله تعالى : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ** ﴾ . (النمل : ٦٢) ، يبين تعالى أن المشركين من العرب ونحوهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده ، فذكر ذلك سبحانه محتجا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه ، ولهذا قال : ﴿ **أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ** ﴾ ، يعني يفعل ذلك – فإذا كانت آلهتهم لا تنجيهم في حال الاضطرار ، فلا يصلح أن يجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وحده .

وقال عز وجل : ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَايَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَااسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ . (فاطر :١٣،١٤) .

قال في فتح المجيد : يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم ، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو ، وهي الملك وسماع الدعاء والقدرة على استجابته ، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته ، فكيف إذا عدمت بالكلية ، فنفى عنهم الملك بقوله : ﴿ **مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** ﴾ . قال ابن عباس وغيره : ﴿ **القطمير** ﴾ اللفافة التي تكون على نواة التمر، ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله : ﴿ **إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ** ﴾ ، لأنهم ما بين ميت وغائب عنهم مشتغل بما خلق له مسخر بما أمر به كالملائكة ، ثم قال : ﴿ **وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ** ﴾ .

لأن ذلك ليس بملكهم ثم بين أن دعاء غير الله شرك ، لأن الدعاء عبادة فقال عز وجل : ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ** ﴾ [2] .

---

(١) فتح المجيد (١٦٨)

(٢) فتح المجيد (١٨٣) .

* **ومن الشرك الاستسقاء بالأنواء :**

قال في تيسير العزيز الحميد : المراد نسبة السُّقْيَا ومجيء المطر إلى الأنواء (جمع نوءٍ) وهي منازل القمر . قال الله عز وجل : ﴿ **وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ** ﴾ . (الواقعة : ٨٢) .

قال ابن القيم رحمه الله : أي تجعلون حظكم من الرزق الذي به حياتكم : « التكذيب به » يعني القرآن[١].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **أربع من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة** » [٢].

قال في فتح المجيد : فإذا قال قائلهم : مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا فلا يخلو : إما أن يعتقد أن له تأثيرا في إنزال المطر فهذا شرك وكفر ، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعا أو يدفع عنهم ضرا ، أو أنه يشفع بدعائهم إيَّاه ، فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالنهي عنه وقتال من فعله كما قال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّيْنُ كُلُّهُ لله** ﴾ . (الأنفال : ٣٩) ، والفتنة الشرك ، وإما أن يقول مطرنا بنوء كذا مثلا لكن مع اعتقاد أن المؤثر الله وحده ولكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم والصحيح : أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز[٣] .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٥١) باختصار .

(٢) رواه مسلم (٣/٢٣٥) الجنائز ، وروى البخاري معناه عن عبد الله بن عباس في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وروى مسلم والترمذي قريبا منه عن أبي هريرة .

(٣) فتح المجيد (٢٢٣،٢٢٤) .

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : « صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة الصُبْح بالحديبية ، على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم ؟** قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : **قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب** » [1].

* **ومن الشرك تصديق الكهان بما يقولون :**

والكاهن أو العراف أو المنجم أو الرمّال هو الذي يدعي علم الغيب ، أو يدعي الكشف .

قال الله تعالى : ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ . (الجن : ٢٦،٢٧) ، روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **من أتى عرافا فسأله عن شيء ــ فصدقه ــ لم تقبل له صلاة أربعين يوما** »[2].

قال النووي وغيره : معناه أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه ، ولابد من هذا التأويل ؛ فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة . وعن أبي هريرة مرفوعا « **من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه بما يقوله فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم** » [3].

---

(١) رواه البخاري (٢/٣٣٣) صفة الصلاة ، ومسلم (٢/٥٩،٦٠) الإيمان ومالك في الموطأ (١/١٩٢) الاستسقاء ، وأبو داود (٣٨٨٨) الطب ، والنسائي (٣/١٦٥) الاستسقاء .

(٢) رواه مسلم (١٤/٢٢٧) السلام دون زيادة «**فصدقه**» وهي عند أحمد (٤/٦٨) بسند صحيح .

(٣) رواه أحمد (٢/٤٢٩) والحاكم (١/٨) وصححه على شرطهما =

* **ومن الشرك الحلف بغير الله عز وجل :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** »[1].

قال الشيخ حامد الفقي : وذلك لأن حقيقة اليمين والقصد منه إنما هو تأكيد الحالف قوله بالقسم بالمحلوف به الذي يقدر أن ينتقم منه ويعاقبه إن كان كاذبا ، ولذلك ترى أكثر العامة يحلفون بالله كذبا غير مبالين ، فإذا استحلفوا بمن يعظمونه من الموتى والأولياء ويعتقدون له السر والتصرف تكعكعوا وصدقوا ، وإن كان في ذلك ذهاب بعض ما يحرصون عليه من منفعة ، يضحون بها خوفا من عقاب وانتقام وتصرف ذلك الولي فيهم[2] .

وقال في تيسير العزيز الحميد ما ملخصه : أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره .

فإن قيل : إن الله تعالى أقسم بالمخلوقات في القرآن .

قيل : ذلك يختص بالله تبارك وتعالى فهو يحلف بما شاء من خلقه ، لما في ذلك من الدلالة على قدرة الرب ووحدانيته وإلهيته وعلمه وحكمته وغير ذلك من صفات كماله ، وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق تعالى فالله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وقد نهانا عن الحلف بغيره فيجب على العبد التسليم والإذعان

=والبيهقي (١٣٥/٨) عن أبي هريرة مرفوعا بسند صحيح وصححه العراقي والذهبي والمناوي ، وانظر النهج السديد رقم (٢٢٩) .

(١) رواه الترمذي (١٨/٧) الأيمان والنذور وقال أبو عيسى:هذا حديث حسن ، وأبو داود (٣٢٣٥) الأيمان والنذور ، وأحمد (٣٤/٢،٦٩،٨٦) والحاكم (٢٩٧/٤) وقال:صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٦١) وغيره .

(٢) هامش فتح المجيد (٤١٣) .

لما جاء من عند الله .

فإن قيل : قد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال للأعرابي الذي سأله عن أمور الإسلام فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أفلح وأبيه إن صدق** »[1]، رواه البخاري وقال للذي سأله : أي الصدقة أفضل « **أما وأبيك لتنبأنه** » [2]رواه مسلم ونحو ذلك من الأحاديث .

قيل : ذكر العلماء عن ذلك أجوبة :

أحدها : ما قاله ابن عبد البر في قوله : « **أفلح وأبيه إن صدق** » هذه اللفظة غير محفوظة ، وقد جاءت عن راويها إسماعيل بن جعفر « **أفلح والله إن صدق** » قال : وهذا أولى من رواية من روى عنه بلفظ « **أفلح وأبيه** » لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح ، ولم تقع في رواية مالك أصلا ، وادعى بعضهم التصحيف . وقيل : إن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير قصد للقسم ، وقيل للتأكيد لا للتعظيم ، وقيل : هذا كان في أول الأمر ثم نسخ – قال المصنف : وهذا الجواب هو الحق . ويؤيده أن ذلك كان مستعملا شائعا حتى ورد النهي عن ذلك كما في حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه . فقال : « **ألا إن الله ينهاكم أن**

---

(١) الحديث رواه البخاري (١/١٠٦) الإيمان ، ومسلم (١/١٧١) الإيمان ومالك في الموطأ (١/١٧٥) قصر الصلاة ، والنسائي (٤/١٢٢)الصيام وليس عند أحدٍ منهم « **وأبيه** » في هذه المواضع ورواه أبو داود مختصرا (٣٢٣٦) الأيمان والنذور بهذا اللفظ .

(٢) رواه مسلم (٧/١٢٤) الزكاة ولفظه عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال:يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ؟ فقال : « **أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان** » .

تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »[1].

وقوله « **فقد كفر أو أشرك** » أخذ به طائفة من العلماء فقالوا : يكفر من حلف بغير الله كفر شرك ، قالوا : ولهذا أمره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بتجديد إسلامه بقوله : لا إله إلا الله[2]، وقال الجمهور : لا يكفر كفرا ينقله عن الملة لكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره .

* **ومن الشرك الأصغر ما يجرى على ألسنة بعضهم كقولهم ما شاء الله وشئت أتوكل على الله وعليك ، مالي إلا الله وأنت .**

قال تعالى : ﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا لله أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ . (البقرة : ٢٢) .

قال ابن عباس أي لا تشركوا بالله شيئاً من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه ربكم ، لا رب لكم يرزقكم غيره ، والند هو المثل والنظير .

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في هذه الآية «﴿ **الأنداد** ﴾: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وتقول : لولا كلب هذا لأتانا اللصوص ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانا . هذا كله به شرك » وسنده حسن وذكره ابن كثير (٥٧/١) » .

---

(١) رواه البخاري (٥٣٠/١١) الأيمان ، ومسلم (١٠٥/١١) الأيمان ومالك (٢٨٠/٢) النذور والأيمان .

(٢) كما في حديث البخاري (٥٣٦/١١) ومسلم (١٢٦٧/٣) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله** » .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان** »[1]

قال في فتح المجيد : وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليه ، لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع ، فلا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا ، وتسوية المخلوق بالخالق شرك . قال الله عز وجل عن المشركين في الآخرة : ﴿ **تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِ العَالَمِينَ** ﴾ . (الشعراء : ٩٧، ٩٨) ، بخلاف المعطوف بثم ، فإن المعطوف بها يكون متراخيا عن المعطوف عليه بمهلة ، فلا محذور لكونه صار تابعا .

قال ابن القيم رحمه الله: وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل : ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك، ومالي إلّا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده .

ومن الشرك الأصغر الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا :

قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يوحىٰ إِلَيّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾ . (الكهف : ١١٠) .

وروى مسلم عن أبي هريرة مرفوعا : قال الله تعالى : « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه** » [2] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥٩) الأدب ، وأحمد (٣٨٤/٥) ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٣٧ .

(٢) رواه مسلم (١١٥/١٨) الزهد ، وابن ماجة (٣٣٨٧) الزهد .

قال ابن رجب رحمه الله ما ملخصه : واعلم أن العمل لغير الله أقسام :

فتارة يكون رياء محضا كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُون النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ الله إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ . (النساء : ١٤٢) ، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر في الصدقة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها ، فإن الإخلاص فيها عزيز ، وتارةً يأتون العمل لله ويشاركه الرياء ، فإن شاركه في أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه .

ثم قال : فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء ، مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهاده و لم يبطل بالكلية . وقال الإمام أحمد فيمن يأخذ جُعل الجهاد:إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس كأنه خرج لدينه وإن أعطى شيئا أخذه ، وقال : إن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء ، فإن كان خاطرا ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف ، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا ، فيجازى عن أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف ، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير ، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك ، وأنه يجازى بنيته الأولى وهو يروى عن الحسن وغيره ، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه ، فقال : « **تلك عاجل بشرى المؤمن** » [1].

وإذا أراد العبد بعمله الدنيا فقد قال الله عز وجل : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيْهَا وَهُمْ فِيْهَا لا يُبْخَسُونَ ، أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيْهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[2]. (هود :١٥،١٦) .

---

(١) رواه مسلم (١٨٩/١٦) البر والصلة ، وابن ماجه (٣٤٠٣) الزهد وأحمد (١٥٦،١٥٧) .

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح حديث النيات ص (١٣ – ١٦) .

وقد سئل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عن هذه الآية فقال ما ملخصه :

ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه . فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وصلة وإحسان إلى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته ، أو حفظ أهله وعياله ، أو إدامة النعمة عليه ، ولا هِمَّةَ له في طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب .

النوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية : أنها نزلت فيه : وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة .

النوع الثالث : أن يعمل أعمالا صالحة يقصد بها مالا ، مثل أن يحج لمال أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، أو يجاهد لأجل المغنم وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو رياستهم ، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد ، كما هو واقع كثيرا .

النوع الرابع : أن يعمل بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرا يخرجه عن الإسلام ، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة . ثم قال رحمه الله : بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالا قاصدا بها الدنيا مثل أن يحج فرضه لله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منها[1].

(١) فتح المجيد (٣٧٥) .

فصـــــل

في حماية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جناب التوحيد وسده كل ذرائع الشرك

لقد بالغ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حماية جناب[1] التوحيد وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها ، فهي حنيفية في التوحيد ، سمحة في العمل كما قال بعض العلماء : هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك وأسمح الشرائع في العمل .

وسوف نذكر بإذن الله بعض الأمور التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكونها ذرائع وطرقاً إلى الوقوع في الذنب الأعظم الذي هو الشرك بالله عز وجل ؛ حماية لجناب التوحيد فمن هذه الأمور :

أ - تحريم إقامة المساجد على القبور .

ب - النهي عن اعتقاد العدوى والتطير .

ج - النهي عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله .

د - النهي عن المبالغة في المدح وهو الإطراء .

هـ - النهي عن التصوير .

---

(١) الجناب هو الجانب وانظر تيسير العزيز الحميد (٣٤٧،٣٤٨) .

ا – تحريم إقامة المساجد على القبور

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : « **لَعَنَ الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » . قالت : فلولا ذلك أُبرِزَ قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا »[1].

قال الألباني حفظه الله : فائدة : قول عائشة هذا ، يدل دلالة واضحة على السبب الذي من أجله دفنوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بيته ، ألا وهو سد الطريق على من عسى أن يبني عليه مسجدا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[2].

وعن عائشة وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصةٍ[3] له ، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول : « **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[4].

---

(١) رواه البخاري (٢٠٠/٣) الجنائز ، ومسلم (١٢/٥) المساجد والنسائي (٤١،٤٠/٢) المساجد والجنائز (٩٥/٤) وأحمد (٨٠/٦) .

(٢) رواه البخاري (٥٣٢/١) الصلاة ، مسلم (١٢/٥) المساجد ، وأبو داود (٣٢١١) الجنائز .

(٣) ثوب من صوف له أعلام .

(٤) رواه البخاري (٥٣٢/١) الصلاة ، ومسلم (١٣،١٢/٥) المساجد .

قال الحافظ ابن حجر : « وكأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى ، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « لما كان مرض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها : مارية – وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة – فذكرن من حسنها وتصاويرها قالت : (فرفع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأسه) فقال : « **أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة** » [1].

وهذه الأحاديث الصحيحة صريحة الدلالة في تحريم بناء المساجد على القبور ، وأنه لا يجتمع في شرع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مسجد وقبر ، قال الألباني حفظه الله بعد أن ساق ما ذكرناه وغيره :

أما شمول الأحاديث للنهي عن الصلاة في المساجد المبنية على القبور فدلالتها على ذلك أوضح ، وذلك لأن النهي عن بناء المساجد على القبور يستلزم النهي عن الصلاة فيها ، من باب أن النهي عن الوسيلة يستلزم عن المقصود بها والمتوسل بها إليه ، مثاله: إذا نهى الشارع عن بيع الخمر فالنهي عن شربه داخل في ذلك كما لا يخفى ، بل النهي عنه من باب أولى ، ومن البين جدا أن النهي عن بناء المساجد على القبور ليس مقصودا بالذات ، كما أن الأمر ببناء المساجد في الدور والمحلات ليس مقصودا بالذات ، بل ذلك كله من أجل الصلاة فيها ، سلبا أو إيجابا ، يوضح ذلك المثال الآتي : لو أن رجلا بنى مسجدا في مكان قفر غير مأهول ، ولا يأتيه أحد للصلاة فيه فليس لهذا الرجل أي أجر في بنائه لهذا

(١) رواه البخاري (٢٠٨/٣) الجنائز، ومسلم (١١/٥) المساجد، والنسائي (١١٥/١) .

المسجد ، بل هو عندي آثم لإضاعته المال ، ووضعه الشيء في غير محله .

فإذا أمر الشارع ببناء المساجد فهو يأمر ضمنا بالصلاة فيها ، لأنها هي المقصودة بالبناء ، وكذلك إذا نهى عن بناء المساجد على القبور ، فهو ينهى ضمنا عن الصلاة فيها ، لأنها هي المقصودة بالبناء أيضا ، وهذا بين لا يخفى على العاقل إن شاء الله[1].

قلت : ولو لم يرد شيء من هذه الأحاديث المحرمة لإقامة المساجد على القبور لكان الواجب كذلك على المسلمين الامتناع من ذلك، والتحذير منه لأن ذلك من أعظم ذرائع الشرك الذي دب في جسد الأمة ، إذ صرفت العبادات من الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة والتوكل والرجاء إلى المقبورين دون الله عز وجل - فإقامة المساجد على القبور من أعظم الوسائل إلى الشرك .

قال في فتح المجيد : ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاعليه - تحذيرا لأمته أن يفعلوه معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومع الصالحين من أمته - قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة واعتقدوه قربة من القربات ، وهو من أعظم السيئات والمنكرات ، وما شعروا أن ذلك محادة لله ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قال القرطبي : وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها ، كما كان السبب في عبادة الأصنام .

(١) تحذير الساجد (٣١/٣٠) المكتب الإسلامي .

ب – النهي عن اعتقاد العدوى والتطير

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لا عدوى ولا طيرة ولا هامة** [1] **ولا صفر** [2] » . قالوا : يا رسول الله : فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كُلَّها ؟ قال : « **فمن أعدى الأول ؟** »[3].

فنفى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجود العدوى حماية لجناب التوحيد ؛ لأن المسلم يجب عليه أن يعتقد أن الله عز وجل هو الضار النافع ، وأنه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، ورد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على هذه الشبهة التي طرحها بعضهم فقال : « ما بال الإبل كأنها الظباء فيخالطها الجمل الأجرب فيجربها » . فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **فمن الذي أعدى الأول؟** » . أي أنه لو صح اعتقاد العدوى وأن المريض هو الذي يضر السليم فما الذى أمرض الجمل الأول هذا مع قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **فر من المجذوم كما تفر من الأسد** » [4] . فالعبد ينبغي عليه أن يأخذ بأسباب العافية

---

(١) قوله « **ولا هامة** » قال الفراء : الهامة طير من طير الليل كأنه يعني البومة قال ابن الأعرابي كانوا يتشاءمون بها ؛ إذا وقفت على بيت أحدهم يقول : نعت إِلَيَّ نفسي أو أحداً من أهلِ بيتي .

(٢) قوله : « **ولا صفر** » روى أبو عبيدة في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال:هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهي أعدى من الجرب عند العرب . قلت: وكأنه يعني الدودة الشريطية .

(٣) رواه البخاري (٢١٥/١٠) الطب ، ومسلم (٢١٣/١٤) السلام، وأبو داود (٣٨٩٣) الطب .

(٤) رواه البخاري (١٥٨/١٠) الطب وهو رواية للحديث السابق،وأحمد (٤٤٣/٤) .

والصلاح ، وهذا عمل الجوارح ، وينبغي كذلك أن يعتقد بقلبه أن الله عز وجل هو الضار النافع ، وأن المريض لا يملك أن يضر السليم .

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ولا طيرة** » والتطير هو التشاؤم سواء كان بيوم معين ، أو شخص معين ، أو حدث معين ، لأنه ينافي كمال التوحيد الواجب ، لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ، وذلك بتعلق القلب به خوفا وطمعا ، ومنافاته للتوكل على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيره .

ولهما عن أنس قال : « **لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل** » قالوا : وما الفأل ؟ قال : « **الكلمة الطيبة** »[1]. وإنما أحب النبي صلى الله عليه وسلم الفأل ؛ لأن الناس إذا أمَّلوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى فهم على خير ، وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من الشر ، وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء .

ج - النهي عن الذبح لله عز وجل في مكان يذبح فيه لغير الله

قال تعالى : ﴿ **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** ﴾ . (التوبة : ١٠٨) .

ومناسبة الآية أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، كما أن هذا المسجد لما أعد لمعصية الله صار محل غضب لأجل ذلك ، فلا تجوز الصلاة فيه لله .

---

(١) رواه البخاري (١٠/٢١٤) الطب ، ومسلم (١٤ /٢١٨) السلام ، وقال النووي : ومن أمثال التفاؤل أن يكون له مريض فيتفاءل بما يسمعه فيسمع من يقول : يا سالم ، أو يكون طالب حاجة فيسمع من يقول : يا واجد فيقع في قلبه رجاء البرء أو الوجدان والله أعلم .

عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة[1] فسأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « **هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد** ؟ قالوا : لا . قال : **فهل كان فيها عيد من أعيادهم** ؟ قالوا . لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم** »[2].

قال في فتح المجيد : وفيه سد الذريعة وترك مشابهة المشركين .

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **أوف بنذرك** » بعد أن استفصل عن عدم وجود وثن في الماضي أو عيد من أعياد الجاهلية يدل على أن الذبح في مكان كان يذبح فيه لغير الله أو فيه اجتماع من اجتماعات الجاهلية نذر معصية لا يجوز الوفاء به بإجماع العلماء .

د – النهي عن الإطراء والغلو في الصالحين

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً** ﴾ . (نوح : ٢٣) ، قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت[3].

(١) قال البغوي : موضع في أسفل مكة دون « يلملم »

(٢) رواه أبو داود (٣٢٨٩) الأيمان والنذور ، والبيهقي ، والطبراني في الكبير (١٣٤١) ، وصححه الحافظ في تلخيص الحبير (١٨٠/٤) قال في تيسير العزيز الحميد : وهذا إسناد جيد وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : إسناده على شرطهما وصححه الألباني في المشكاة وصحيح الجامع .

(٣) رواه البخاري مطولا (٦٦٧/٨) التفسير .

قال في فتح المجيد : وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وإن كان القصد بها حسنا ، فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين والإفراط في محبتهم .

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لا تُطْرُوني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله** »[1].

والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه .

كما قال البوصيري :

يَاأكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العَمَمِ

وما بعده من الأبيات التي مضمونها : إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الاضطرار لغير الله .

قال ابن القيم رحمه الله : ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته ، حتى جعلوا فيه حظا من الإلٰهية وشبهوه بالله تعالى وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله[2].

وقال رحمه الله : وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور ويلقى إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين وأن الدعاء عندها مستجاب ، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها ، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يُسأل بأَحد من خلقه .

(١) رواه البخاري (٤٧٨/٦) الأنبياء وهذا الحديث طرف من حديث السقيفة وقد ساقه في كتاب المحاربين ورواه البغوي في شرح السنة (٢٤٦/١٣) الفضائل .

(٢) معارج القبول (٤٣٤/١) .

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ، ويحج إليه ويذبح عنده ، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدا ومنسكا ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، من تجريد التوحيد وأن لا يعبد إلا الله فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، فيغضب المشركون وتشمئز قلوبهم كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ . (الزمر : ٤٥) .

سرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام ، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله ودينه ورسوله ، ويأبى الله ذلك : ﴿ **وَمَاكَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُه إِلَّا الْمُتَّقُونَ** ﴾ . (الأنفال : ٣٤) .

هـ - النهي عن التصوير

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : قال الله تعالى : « **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة** » [١].

ولهما عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

---

(١) فتح المجيد (٢٢٣) .

قال : « **أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله** »[1].

ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم** »[2]

ولهما عنه مرفوعا : « **من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ** »[3].

ولمسلم عن أبي الهياج قال : قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرا مُشْرِفًا إلا سويته** »[4].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بعد أن ذكر ما سقناه من الأحاديث : فيه مسائل :

الأولى : التغليظ الشديد في المصورين .

الثانية : التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله : « **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي** » .

والثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة .

---

(١) رواه البخاري (١٠/٣٨٧) التوحيد ، ومسلم (١٤/٩٤) اللباس والزينة، والنسائي (٨/٢١٦) .

(٢) رواه البخاري (١٤/٤١٦) البيوع ، ومسلم (١٤/٩٣) اللباس والزينة، والنسائي (٨/٢١٥) الزينة .

(٣) رواه البخاري (١٠/٣٩٣) اللباس ، ومسلم (١٤/٩٣) اللباس والزينة .

(٤) رواه مسلم (٧/٣٦) الجنائز ، والترمذي (٤/٢٦٩) الجنائز ، والنسائي (٤/٨٨،٨٩) الجنائز ، وأبو داود (٣٢٠٢) الجنائز .

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذابا .

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم .

السادسة : أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح .

السابعة : الأمر بطمسها إذا وجدت[1].

وقال ابن رجب رحمه الله في التعليق على حديث عائشة في قصة كنيسة أرض الحبشة وفيه قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله** »[2]. قال : هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين وتصوير صورهم فيها ، ولا ريب أن كل واحد منهما محرم على انفراده ، فتصوير صور الآدميين يحرم ، وبناء المساجد على القبور بانفراده يحرم ، كما دلت عليه نصوص أخر يأتي ذكر بعضها. قال: والتصاوير التي في الكنيسة التي ذكرتها أم حبيبة وأم سلمة كانت على الحيطان ونحوها ، ولم يكن لها ظل ، فتصوير الصور على مثال صور الأنبياء والصالحين للتبرك بها ، والاستشفاع بها يحرم في دين الإسلام ، وهو من جنس عبادة الأوثان ، وهو الذي أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن أهله شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، وتصوير الصور للتأسي برؤيتها أو للتنزه والتلهي محرم ، وهو من الكبائر وفاعله من أشد الناس عذابا يوم القيامة ، فإنه ظالم يمثل بأفعال الله التي لا يقدر على فعلها غيره ، وأنه تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى[3].

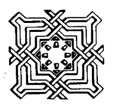
---

(١) فتح المجيد (٤٨٢ - ٤٨٧) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٣١) .

(٣) ذكره في « الكواكب الدراري » (مجلد ٢/٨٢/٦٥) ونقله في تحذير الساجد (١٤) .

قال الألباني : ولا فرق في التحريم بين التصوير اليدوي والتصوير الآلي والفوتوغرافي بل التفريق بينهما جمود وظاهرية عصرية كما بينته في كتابي آداب الزفاف (١٠٦-١١٦) الطبعة الثانية طبع المكتب الإسلامي .



فصـــــل

في بيان بعض المسائل التي لها علاقة بتوحيد الألوهيــة

هذا الفصل في بيان بعض المسائل التي لها علاقة بتوحيد الألوهية ولم نتعرض لها في الفصول السابقة بالبحث . كالتوسل والرقي والشفاعة – والسحر .

أ – التوسل

قال الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله ، وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ ، وَجَاهِدوا فِي سَبِيْلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ . (المائدة : ٣٥) ، ومعنى ﴿ **ابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ أي اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه .

وقال تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِهِمْ الوَسِيْلَةَ ، أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ويخافون عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً** ﴾ . (الإسراء : ٥٧) .

فمعنى ﴿ **يبتغون إلى ربهم الوسيلة** ﴾ أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة .

قال الألباني حفظه الله :

ومن الغريب أن بعض مدعي العلم اعتادوا الاستدلال بالآيتين السابقتين على ما يلهج به كثير منهم من التوسل بذوات الأنبياء أو حقهم أو حرمتهم أو جاههم وهو استدلال خاطيء لا يصح حمل الآيتين عليه لأنه لم يثبت شرعا أن هذا التوسل مرغوب فيه ، ولذلك لم يذكر هذا الاستدلال أحد من السلف الصالح ،

ولا استحبوا التوسل المذكور بل الذي فهموه منهما أن الله تبارك وتعالى يأمرنا بالتقرب إليه بكل قربة ، والتوصل إلى رضاه بكل سبيل .

ولكن الله سبحانه وتعالى قد علمنا في نصوص أخرى كثيرة أن علينا إذا أردنا التقرب إليه أن نتقدم إليه بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها ، وهو لم يَكِلْ تلك الأعمال إلينا ، و لم يترك تحديدها إلى عقولنا وأذواقنا ، لأنها حينذاك ستختلف وتتباين وستضطرب ، بل أمرنا سبحانه أن نرجع إليه في ذلك ونتبع إرشاده وتعليمه منه ، لأنه لا يعلم ما يرضي الله عز وجل إلا الله وحده ، فلهذا كان من الواجب علينا حتى نعرف الوسائل المقربة إلى الله أن نرجع في كل مسألة إلى ما شرعه الله سبحانه وبينه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويعني ذلك أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهذا هو الذي وصانا به رسولنا محمد صلوات الله عليه وسلامه ، حيث قال :

« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله »[1].

أنواع التوسل المشروع :

١ - التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا :

ومن الأدلة عليه قوله عز وجل : ﴿ **وَلله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ . (الأعراف : ١٨٠) ، أي ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى ، ولا شك أن الصفات العليا داخلة في هذا الطلب .

ومن السنة قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من كثر همه فليقل : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل**

(١) التوسل أنواعه وأحكامه (١٣/١٢) طبعة دار العلم ببنها ، والحديث رواه مالك في الموطأ (٨٩٩/٢) وقال الألباني في المشكاة (١٨٦) وهو معضل كما ترى لكن له شاهد من حديث ابن عباس بسند حسن وصححه في صحيح الجامع (٢٩٣٤) .

فِيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا »[1].

وكذلك ما رواه أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان إذا حزبه أمر قال : « **يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث** »[2].

٢ – التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به والعمل الصالح :

والدليل على مشروعيته قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَقُولُون : رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ . (آل عمران : ١٦) .

وقوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ . (آل عمران : ٥٣) .

ويدل على مشروعيته كذلك ما رواه بريدة بن الحصيب رضي الله عنه حيث قال : سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلا يقول : « اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » . فقال : « **قد سأل الله باسمه الأعظم الذي**

---

(١) رواه أحمد (٣٧١٢) شاكر ، والحاكم (١/٥٠٩، ٥١٠) الدعاء وقال:صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه من أبيه وقال الذهبي : وأبو سلمة لا يدرى من هو ؟ ولا رواية له في الكتب الستة وقال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح وصححه الألباني في الصحيحة وقال وقد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

(٢) رواه الترمذي (٩/٣٩٥) تحفة ، وقال الترمذي غريب ، ورواه الحاكم (١/٥٠٩) الدعاء وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : عبد الرحمن لم يسمع من أبيه وعبد الرحمن ومن بعده ليس بحجة ، وحسنه الألباني في التوسل (٣١) .

إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب »[1].

ويدل على ذلك أيضا قصة أصحاب الغار التي رواها البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم .

٣ - التوسل إلى الله عز وجل بدعاء الصالحين :

قال الألباني : كأن يقع المسلم في ضيق شديد أو تحل به مصيبة كبيرة ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تعالى ، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى والفضل والعلم بالكتاب والسنة فيطلب منه أن يدعو له ربه ، ليفرج عنه كربه ، ويزيل عنه همه ، فهذا نوع آخر من التوسل المشروع دلت عليه الشريعة المطهرة وأرشدت إليه . فمن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قال : فيسقون[2].

قال : ومعنى قول عمر : إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، أننا كنا نقصد نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونطلب منه أن يدعو لنا ، ونتقرب إلى الله بدعائه والآن وقد انتقل صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الرفيق الأعلى ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا ، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس ، ونطلب منه أن يدعو لنا ، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم اللهم بجاه نبيك اسقنا ، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم بجاه العباس اسقنا ، لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى

---

(١) رواه أحمد (٣٥٠،٣٤٩/٥) وأبو داود (١٤٧٩) أبواب قيام الليل ، والترمذي (٢٠/١٣) الدعاء . وقال : هذا حديث حسن غريب وحسنه الألباني .

(٢) رواه البخاري (٤٩٤/٢) الاستسقاء .

عليهم[1].

ثم قال حفظه الله : وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف والذي نعتقده وندين الله تعالى به أنه غير جائز ولا مشروع ، لأنه لم يرد فيه دليل ، تقوم به الحجة ، وقد أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة ، مع أنه قال ببعضه بعض الأئمة فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحده فقط ، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين ، ولكننا كشأننا في جميع الأمور الخلافية ندور مع الدليل حيث دار ولا نتعصب للرجال ، ولا ننحاز لأحد إلا للحق كما نراه ونعتقده، وقد رأينا في قضية التوسل التي نحن بصددها الحق مع الذين حظروا التوسل بمخلوق[2]، ولم نر لمجيزيه دليلا صحيحا يعتد به ، ونحن نطالبهم بنص صحيح صريح من الكتاب أو السنة فيه التوسل بمخلوق ، وهيهات أن يجدوا شيئا يؤيد ما يذهبون إليه ، أو يسند ما يَدَّعُونه اللهم إلا شبهات واحتمالات ، سنعرضها للرد عليها بعد قليل[3].

---

(١) التوسل (٣٧-٤١) باختصار .

(٢) المقصود بالمخلوق البشر : نبيا كان أو غيره ، وإلا فالعمل الصالح مخلوق ويجوز التوسل به .

(٣) التوسل (٤٣) .

ب - الرقــى

قال في سلم الوصول :

ثُمَّ الرُّقَى مِن حُمَةٍ أو عَيْن	فَإِنْ تَكُن مِنْ خَالِصِ الوَحْيين
فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِي وَشِرْعَته	وَذَاكَ لَا اخْتِلَافَ فِي سُنِّيَّتِهِ
أَمَا الرُّقَى المَجْهُولَةُ المَعَانـِي	فَذَاكَ وُسْوَاسٌ مِـنَ الشَّيْطَـانِ
وَفِيه قَدْ جَاءَ الحَدِيثُ إِنَّـهُ	شِـرْكٌ بِـلَا مِرْيَـةٍ فَاحْذَرْنــهُ
إذ كُلُّ مَنْ يَقُـولهُ لا يَـدْري	لَعَلَّـهُ يَكُـونُ مَحْـضَ الكُفْــرِ
أَوْ هُوَ مِن سِحْرِ اليَهُودِ مُقْتَبَسْ	عَلَى العَـوَامِ لَبَّسُوهُ فَالتَـبَسْ

فالرقى من الحمة - وهي لدغ ذوات السموم - أو العين - وهو الحسد - وهو حق وله تأثير لكن لا تأثير له إلا بإذن الله عز وجل قال الله عز وجل : ﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونكَ بِأَبْصَارِهِمْ** ﴾ . الآية . (القلم : ٥١) ، فسره بإصابة العين ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وقال الله عز وجل : ﴿ **وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ . (الفلق : ٥) ، فأثبت الله عز وجل الحسد وأمر بالاستعاذة بالله من شر الحاسد .

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا** »[1] ويفسره ما رواه أحمد عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خرج وساروا معه

---

(١) رواه مسلم (١٤/١٧١) السلام ، وقال المازرى: ومذهب أهل السنة إنما تفسد وتهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله سبحانه وتعالى العادة أن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر .

نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة ، اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلا أبيضَ حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة – أخو بني عدي بن كعب – وهو يغتسل فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة . فليط سهل ، فأُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقيل له : يا رسول الله هل لك في سهل ، والله ما يرفع رأسه ولا يفيق ؟ قال : « **هل تتهمون فيه أحدا** » ؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة . فدعا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عامرا ، فتغيظ عليه وقال : « **علام يقتل أحدكم أخاه ؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت** » ثم قال له : « **اغتسل له** » . فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه ، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ، ثم يكفأ القدح وراءه ، ففعل ذلك فَرَاحَ سهل مع الناس ليس به بأس »[1].

والرقى هي العزائم والرقى الموصوفة بكونها شركا في قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الرقى والتمائم والتولة شرك** »[2]، هي التي يستعان فيها بغير الله ، وأما إذا لم يذكر فيها إلا أسماء الله وصفاته وآياته والمأثور عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهذا حسن جائز أو مستحب .

قال الخطابي : وكان عليه السلام قد رَقَى وَرُقِيَ وأمر بها وأجازها ، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله فهي مباحة أو مأمور بها ، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب ، فإنه ربما كان كفرا أو قولا يدخله شرك .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به ، فضلا عن أن يدعو به ، ولو عرف معناه لأنه يكره الدعاء بغير العربية ،

---

(١) رواه مالك (٢/٩٣٨،٩٣٩) كتاب العين ، وابن ماجه (٣٥٠٩) الطب ، وصححه الألباني .

(٢) تقدم تخريجه ص ١١٦ .

وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارا فليس من دين الإسلام .

وقال السيوطي : قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته ، وباللسان العربي وما يعرف معناه ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى ، عن عوف بن مالك قال : كنا نرقى في الجاهلية . فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال : « **اعرضوا عليَّ رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك** »[1].

بعض الرقى الثابتة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

- الرقى بالمعوذات : بوب البخاري رحمه الله في صحيحه «باب الرقى بالقرآن والمعوذات» ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات ، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها[2].

- الرقى بفاتحة الكتاب : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم ، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك ، فقالوا : هل معكم من دواء أو راق ؟ فقالوا : إنكم لم تقرونا ، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا ، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء ، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا : لا نأخذ حتى نسأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسألوه فضحك وقال : « **وما أدراك أنها رقية خذوها**

(١) رواه مسلم (١٨٧/١٤) السلام ، وأبو داود (٣٨٦٨) الطب .
(٢) رواه البخاري (١٩٥/١٠) الطب ومسلم (١٨١/١٤) السلام،وأبو داود (٣٨٨٤) الجنائز .

واضربوا لي بسهم »[1].

* الرقية بالأذكار والتعوذات : روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لثابت : ألا أرقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قال: بلى . قال: « **اللهم رب الناس ، مذهب الباس ، اشف أنت الشافي ، لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما** »[2].

* وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يرقى يقول : « **امسح الباس رب الناس ، بيدك الشفاء ، لا كاشف له إلا أنت** »[3].

* وعنها رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول للمريض : « **بسم الله ، تربة أرضنا ، بريقة بعضنا** – وفي رواية – **وريقة بعضنا – يشفى سقيمنا بإذن ربنا** »[4].

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : عادني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « **اللهم اشف سعدا ، اللهم اشف سعدا ، اللهم اشف سعدا** »[5].

* وعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله

---

(١) رواه البخاري (١٠/١٩٨) الطب ، ومسلم (١٤/١٨٧) السلام ، وأبو داود (٣٨٨٢) .
(٢) رواه البخاري (١٠/٢٠٦) الطب ، وأبو داود (٣٨٧٢) الطب .
(٣) رواه البخاري (١٠/٢٠٦) الطب ، ومسلم (١٤/١٨١) السلام .
(٤) رواه البخاري (١٠/٢٠٦) الطب ، ومسلم (١٤/١٨٣،١٨٤) السلام .
(٥) رواه البخاري (١٠/١٢٠) المرضى ، ومسلم (١١/٨١) الوصايا ، وأحمد (١/١٦٨) .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجعا يجده في جسده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ضع يدك على الذي يألم من جَسَدِك وقل : بسم الله – ثلاثا – وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر** »[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **من عاد مريضا لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض** »[2].

ج – الشفاعة

أما الشفاعة في الدنيا وهي اتخاذ الوسائط عند ذوي الجاه والسلطان في قضاء الحوائج وتحقيق الرغبات فجائزة أو مستحبة ما دامت الحاجة غير محرمة ، والدليل على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ **مَن يشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيْبٌ مِنْهَا ، وَمَن يَّشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ، وَكَانَ الله عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقِيْتاً** ﴾ . (النساء : ٨٥) ، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأصحابه : « **اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء** »[3].

---

(١) رواه مسلم (١٨٩/١٤) السلام ، وأبو داود (٣٨٧٣) الطب .

(٢) رواه أبو داود (٣٠٩٠) الجنائز ، والترمذي (٣٦/٨) الطب وقال الترمذي: حسن غريب ، والحاكم (٤١٦/٤) الطب وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ .

(٢) رواه البخاري (٤٥١/١٠) الأدب ، ومسلم (١٧٧/١٦) البر،وأبو داود (٥١٠٩) الشفاعة ، والترمذي (١٤١/١٠) العلم،والنسائي (٧٨/٥) الزكاة .

أما الشفاعة في الدار الآخرة فإنها تختلف عنها في الدنيا اختلافا كبيرا وذلك لأن الأمر يومئذ كله لله وليس لأحد غير الله تعالى منه شيء كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله** ﴾ . (الانفطار : ١٧-١٩) .

قال الجزائري رحمه الله ما ملخصه :

إن الشفاعة تنقسم يوم القيامة إلى قسمين : شفاعة منفية تماما لا حقيقة لها ولا واقع ولا وجود ، وشفاعة ثابتة واقعة لها حقيقة ووجود .

وللشفاعة المنفية صور منها :

١ - شفاعة الآلهة التي عبدت من دون الله أو معه لقوله تعالى : ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ الله شُفَعَاء ؟ قل أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ، قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً** ﴾ . (الزمر : ٤٣،٤٤) .

لأن من عبد غير الله مشرك كافر ، ولا شفاعة لكافر لقول الله تعالى : ﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ . (المدثر : ٤٨) .

٢ - الشفاعة بدون إذن الله تعالى للشافع ، أو عدم رضاه عن المشفوع له وذلك لقوله تعالى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه** ﴾ . (البقرة : ٢٥٥) .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى** ﴾ . (الأنبياء : ٢٨) .

وقوله عز وجل : ﴿ **وَكَم مِّن مَلَكٍ فِي السَّمَـٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ الله لِمَن يَّشَاءُ وَيَرْضَى** ﴾ . (النجم : ٢٦)[1] .

---

(١) عقيدة المؤمن (١٣٢،١٣٣) .

الشفاعات المثبتة :

القسم الأول : شفاعات النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

القسم الثاني : شفاعات غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله تعالى .

فالشفاعة خاصة بأهل الإخلاص فهم الذين يشفعون وهم كذلك المشفوع لهم وإن كانوا وقعوا في شيء من المعاصي.عن أبي هريرة رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « **من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه** »[1]. وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا** »[2].

قال ابن القيم رحمه الله في معنى حديث أبي هريرة : تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ماعند المشركين ، أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم ، فقلب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع[3].

أما القسم الأول من الشفاعات المثبتة فهي شفاعات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهي ستة أنواع :

الأول : الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام ، حتى تنتهي إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقول : « **أنا لها** » ، وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في

---

(١) رواه البخاري (١/١٩٣) العلم ، وفي الرقاق (١١/٤١٨) .
(٢) رواه البخاري (١١/٩٦) الدعوات ، ومسلم (١٣/٧٥) الإيمان .
(٣) نقلا عن فتح المجيد (٢١٠) .

الموقف ، وهذه الشفاعة يختص بها صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يشركه فيها أحد .

الثاني : شفاعته لأهل الجنة في دخولها .

الثالث : شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم ، فيشفع لهم أن لا يدخلوها .

الرابع : شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم ، والأحاديث بها متواترة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة ، وبدَّعوا من أنكرها وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال .

الخامس : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم وهذه مما لم ينازع فيها أحد ، وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليا ولا شفيعا كما قال تعالى : ﴿ **وَأَنْذِر بِهِ الَّذِيْنَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ** ﴾ . (الأنعام : ٥١) .

السادس : شفاعته في بعض أهله الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه ، وهذه خاصة بأبي طالب وحده[١].

قال الألباني حفظه الله : وهذه خصوصية للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم كرامة أكرمه الله تبارك وتعالى بها ، مع أن القاعدة في المشركين أنهم كما قال الله عز وجل : ﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين** ﴾ . (المدثر : ٤٨) ، ولكن الله تعالى يختص بفضله من يشاء[٢].

---

(١) فتح المجيد (٢١١) .
(٢) بداية السول في تفضيل الرسول هامش للألباني .

قال الجزائري حفظه الله :

والقسم الثاني من الشفاعة المثبتة : شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء .

فشفاعة الملائكة ثابتة بقوله تعالى : ﴿ **وَكَم مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَّشَاءُ وَيَرْضَى** ﴾ . (النجم : ٢٦) ، وبقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهم مِن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾ . (الأنبياء : ٢٨) .

وأما شفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء فهي ثابتة بعموم القرآن ، وخصوص السنة ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى : ﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ . (المدثر : ٤٨) .

ويقول وقوله الحق : ﴿ **لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً** ﴾ . (مريم : ٨٧) .

ويقول : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ﴾ . (البقرة : ٢٥٥) .

فهذه الآيات دالة على وجود شفعاء بمنطوقها ومفهومها .

وفي السنة يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته** »[١] ، وصح أن القرآن الكريم يشفع لأهله كذلك[٢]، فقد روى أبو أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه** »[٣].

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٥) الجهاد ، وابن حبان في صحيحه (١٦١٢) الجهاد موارد ، والحديث سكت عنه المنذري وصححه الألباني في الجامع .

(٢) عقيدة المؤمن (١٣٥) باختصار .

(٣) رواه مسلم (٩٠/٦٠) صلاة المسافرين وللحديث تكملة : « **اقرأوا الزهراوين** =

كما صح أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: رب منعته الطعام والشراب بالنهار ، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فيشفعان »[1].

د - السحـــر

السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه ، ولهذا جاء في الحديث : « **إن من البيان لسحرا** »[2] وسمى السحر سحرا لأنه يقع خفيا آخر الليل .

قال أبو محمد المقدسي في الكافي : السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلب والأبدان فيحرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، قال الله تعالى : ﴿ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** ﴾ . (البقرة : ١٠٢) ، وقال سبحانه : ﴿ **وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾ . (الفلق : ٤) ، يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن ، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه .

= **البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان .. »** .

أما حديث : « **يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء** » . الذي ذكره بعض العلماء المعاصرين فقد رواه ابن ماجه (٩٣٩) وقال الألباني موضوع (٤٣١٣) ضعيف ابن ماجه .

(١) الحديث رواه أحمد والبيهقي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني .

(٢) رواه أبو داود (٤٩٩٠) ، (٤٩٩١) الأدب ، والترمذي (١٨٤/٨) البر والصلة وقال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني (٢١١٤) صحيح الترمذي ، قال ابن الأثير : البيان الإفصاح والكشف والمعنى أن الرجل قد يكون عليه الحق وهو أقوم بحجته من خصمه فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه لأن معنى السحر قلب الشيء في عين الإنسان وليس بقلب الأعيان ألا ترى أن البليغ يمدح الإنسان فيصرف قلوب السامعين إلى حب الممدوح ثم يذمه حتى يصرفها إلى بغضه .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سحر حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، وأنه قال لها ذات يوم : « **أتاني ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ . قال : لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة ، وفي جف طلعة ذكر في بئر ذروان** »[١]. قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم : قال المازري رحمه الله تعالى : مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر ، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته ، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم ، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له ، وهذا الحديث أيضا[٢] مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت ، وهذا كله يبطل ما قالوه فإحالة كونه من الحقائق محال ، ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر ، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم ، ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ، ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قاتلة أو كلام مهلك أو مؤدٍ إلى التفرقة ، قال : وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث[٣]بسبب آخر فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة في الشرع ، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢٣٣،٢٣٢/١٠) الطب ، وأحمد (٥٠/٦) باختصار ، (٩٦/٦) مطولا .
(٢) حديث عائشة السابق .
(٣) حديث عائشة السابق .
(٤) نقلا عن فتح المجيد (٢٨٠) ملخصاً .

وقال القرطبي رحمه الله : وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافا للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا : إنه تمويه وتخييل .

قال الشيخ حافظ بن أحمد :

قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة ، وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية ، فأما القتل به والإمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها ، وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيوانا وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل ولا غير ممكن ؟ فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد ، فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقي الساحر ما ألقى امتحانا وابتلاء وفتنة لعباده ، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخييل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات ، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعداه ، ولا نبدل قولا غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم[1].

حكم السحر :

قال الله عز وجل : ﴿ **ومَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِيْنَ كَفَروا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** ﴾ . (البقرة : ١٠٢) .

وقال عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ** ﴾ . (البقرة : ١٠٢) ، قال ابن عباس : من نصيب .

وقال الله عز وجل : ﴿ **وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** ﴾ . (طه : ٦٩) وقد سماه الله عز وجل كفرا في قوله في قصة هاروت وماروت حيث قال تعالى على لسانهما : ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** ﴾ . (البقرة : ١٠٢) .

---

(١) معارج القبول (٥١٢،٥١١/١) .

قال ابن عباس : وَذَلِك أنهما علما الخَير والشر وَالكفرَ والإيمَان فعَرفا أن السحر من الكفر .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » ، قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** »[1].

واختلف العلماء هل يكفر الساحر أم لا : فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله ، وقال الشافعي:إذا تعلم السحر قلنا له : صف لنا سحرك ، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر .

حد الساحر :

في صحيح البخاري عن بجالة بن عبده قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال : فقتلنا ثلاثة سواحر »[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٣/٥) الوصايا ، ومسلم (٨٣/٢) الإيمان ، وأبو داود (٢٨٥٧) الوصايا ، والنسائي (٢٥٧/٦) الوصايا .
والموبقات : أي المهلكات .

(٢) روى أصله البخاري (٢٥٧/٦) وليس فيه « **اقتلوا كل ساحر وساحرة** » . وكذلك الترمذي (٨٥/٧) وقال وفي الحديث كلام أكثر من هذا وقال: هذا حديث حسن صحيح . ولفظه عند أبي داود (٣٠٢٧) الخراج والفيء والإمارة ، ورواه مطولا كذلك أحمد في مسنده (١٩٠/١،١٩١) وهو صحيح ، وانظر النهج السديد رقم (٢٨١) .

وعن حفصة رضي الله عنها : « أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت »[1].

وعن جندب مرفوعا : « **حد الساحر ضربة بالسيف** »[2].

رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف ، وبهذا الحديث أخذ مالك وأحمد وأبو حنيفة قالوا بقتل الساحر ، ولم ير الشافعي القتل عليه بمجرد السحر ، إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر .

روى البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال : « كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنسانا وأبان رأسه معجبا ، فجاء جندب الأزدي فقتله »[3].

النشـرة :

قال الحسن : النشرة من السحر .

وقال ابن الجوزي : النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر .

---

(١) رواه مالك (٨٧١/٢) عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بلاغا ، ووصله عبد الله ابن أحمد في مسائل أبيه (١٥٤٣) والبيهقي (١٣٦/٨) عن عبد الله بن عمر بسند صحيح ووصله أيضا الطبراني عن ابن عمر ، وانظر النهج السديد رقم (٢٨٢) .

(٢) رواه الترمذي (٢٤٦/٦) الحدود وغيره وقال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث . والصحيح عن جندب موقوف والعمل على هذا عند بعض أهل العلم والحديث ضعفه الحافظ في الفتح (٢٣٦/١٠) كما في النهج السديد (٢٧٩) وضعفه الألباني (٢٦٩٨) ضعيف الجامع .

(٣) رواه البخاري في تاريخه الكبير (٢٢٢/٢) والبيهقي (١٣٦/٨) وصححه في النهج السديد (رقم ٢٨٣) .

روى الإمام أحمد بسند جيد وأبو داود عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سئل عن النشرة . فقال : « **هي من الشيطان** »[1]. وقال ابن القيم : النشرة : حل السحر من المسحور وهي نوعان أحدهما : حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور .

والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز .

وفي البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أَيُحَلُّ عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه[2] انتهى .

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٠) الطب ، وأحمد (٢٩٤/٣) والحديث سكت عنه المنذري وحسنه الحافظ في الفتح (٢٣٣/١٠) وصححه في النهج السديد رقم ٣٠٩ ، وفي البخاري من حديث عائشة قالت: يا رسول الله فهلا تنشرت فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أما الله فقد شفاني ، وَأما أنا فأكره أن أثير على الناس شرا** » (٤٧٩/١٠) الأدب .

(٢) رواه البخاري تعليقا بصيغة الجزم (٢٣٢/١٠) ورواه أبو جعفر الطبري في تهذيب الآثار وقال: إسناده صحيح ورواه أبو عمر بن عبد البر في التمهيد عن الأثرم وقال: وإسناده صحيح أيضا وانظر تغليق التعليق (٤٩/٥) .

٢ – الإيمان بالملائكة

وهو الاعتقاد الجازم بوجود ملائكة الله عز وجل ، العباد المكرمون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، الذين خلقهم الله عز وجل من نور لعبادته ، ليسوا بنات لله عز وجل ولا أولادا ، ولا شركاء معه ولا أندادا ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوا كبيرا ، قال الله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ، وَمَن يَقُلْ مِنهُمْ إِنّي إِلهٌ مِن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾ . (الأنبياء : ٢٩) ، وقال عز وجل : ﴿ **وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِيْنَ هُمْ عِبَادُ الرَّحمٰنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ** ﴾ . (الزخرف : ١٩) .

وقال تعالى : ﴿ **لَن يَسْتَنكِفَ المَسْيِحُ أن يَكُونَ عَبْداً لله وَلَا المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ ، وَمَن يَسْتَنكِفْ عَن عِبَادَتِه وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً** ﴾ . (النساء : ١٧٢) ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِيْنَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِه وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾ . (الأعراف : ٢٠٦) .

ولا شك أن الإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب الذي أوجب الله علينا الإيمان به قال تعالى : ﴿ **الٓمٓ ، ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ** ﴾ . الآيات (البقرة : ٣) ، بل الإيمان بهم هو الركن الثاني بعد الإيمان بالله عز وجل قال تعالى : ﴿ **ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِهِ والمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ . (البقرة : ٢٨٥) .

قال الجزائري حفظه الله :

الكون ينقسم إلى غيب وشهادة .

فالغيب : ما غاب من الموجودات عن أعين الناظرين ، وإن كانت حقيقته محصلة في صدورهم ، لا تغيب عن خواطرهم ، وذلك ككل الموجودات الأرضية والسماوية .

والشهادة : بخلاف الغيب وهي كل ما كان من الموجودات أمام نظر الإنسان يشاهده ويراه ، أو كان بحيث يدركه بإحدى حواسه التي هي السمع والبصر واللمس والشم والذوق .

والإنسان بحكم طبيعة الحياة مقدر له الإيمان بالغيب مفروض عليه ، لا يستطيع التخلص منه بحال ، اللهم إلا من سفه نفسه ، وأراد التخلي عن كرامته الآدمية وعن شرفه الإنساني ؛ وذلك لأن الإنسان كائن متحيز متى وجد في مكان استحال عليه أن يوجد في مكان آخر ، ومن هنا ستصبح الأماكن التي تخلو منه ببعده عنها غيبا له وليست بشهادة عنده ، ولابد له من أن يؤمن بها وبما فيها من أشياء متى وجدت آثار تدل على ذلك ، أو أخبار صادقة تنبيء به ، ثم إن حواس الإنسان التي يحصل له العلم بها محدودة القوة محصورة الإدراك في مجال معين لا تتعداه ، فسمعه مقيد في السماع بالأصوات العالية فإذا انخفضت إلى درجة معينة تعذر عليه أن يسمع ، وبصره مقيد برؤية الأجسام الكبيرة فإذا صغرت ودَقَّتْ وبلغت حدا معينا من الصغر والدقة عجز عن رؤيتها ، ولمسه كذلك فإنه يحس بالأجسام الكثيفة فإذا خفت انقطع إحساسه بها .

ومن هنا كان لابد للإنسان من الإيمان والتصديق بأشياء لم يشهدها ولم يحس بها بأية حاسة من حواسه .

وكيف ننكر هذه الحقيقة ونحن نؤمن بعشرات البلاد ولم نرها ، كما نرى إنسانا

لم ير الفيل طول حياته ، وهو يؤمن بوجود هذا الحيوان الذي لم يره ، وآخر يؤمن بالجاذبية إيمانا جازما ، ومن المعلوم أن الجاذبية مما لا يرى ولا يشاهد أبدا .

ولذا كان من المضحكات أن يدعي إنسان أنه لا يؤمن بالغيب أو أنه يستطيع أن يعيش في هذ الحياة بدون الإيمان بالغيب[1].

إلى أن قال حفظه الله : ومن هنا كان الإيمان بوجود الملائكة أمرا معقولا ، ومطلبا سهلا ميسورا ، فالملائكة وإن كانوا غيبا ، فقد دل على وجودهم الدليل الذي تثبت به كل الموجودات الغيبية عند الإنسان ، والذي هو خبر الثقات وآثار الموجودات[2].

صفـات الملائكـة :

الملائكة خلق عظيم من خلق الله عز وجل .

عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **أُذِنَ لي أن أتحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام** »[3].

ولما أراد الله عز وجل إهلاك القرية التي قتلت مؤمن آل ياسين قال عز وجل : ﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُنْدٍ مِن السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِين إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ** ﴾ . (يس : ٢٨ ، ٢٩) ، أي ما كان يستأهل هذا الأمر إنزال جند من السماء ، وما كانت إلا صيحة واحدة من ملك من ملائكة الله عز وجل فقتلوا عن آخرهم .

---

(١) عقيدة المؤمن (١٥٢،١٥٣) بتصرف .

(٢) عقيدة المؤمن (١٥٤) .

(٣) رواه أبو داود (٤٧٠١) السنة ، قال شمس الحق أبادي:والحديث إسناده صحيح قاله المناوي في التيسير والحديث أيضا أخرجه المقدسي في المختارة والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات، وسكت عنه المنذري وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٥١) .

وقال عز وجل واصفا جبريل عليه السلام : ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى** ﴾ . (النجم : ٥ ، ٦) ، وقال عز وجل : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾ . (التكوير:١٩،٢٠،٢١) ، والملائكة مخلوقة من نور فقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما روته عائشة رضي الله عنها : « **خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم** »[(١)] .

ومن صفاتهم الخلقية التي أخبرنا عز وجل بها أنه جعل لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها فقال سبحانه : ﴿ **الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ . (فاطر : ١) .

وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح[(٢)].

قال في كتاب الإيمان : وتدل النصوص في مجموعها على أن الملائكة مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية ، وأنهم ليسوا كالبشر فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون ، مطهرون من الشهوات الحيوانية ومنزهون عن الآثام والخطايا ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها ابن آدم غير أن لهم القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر بإذن الله تعالى كما أخبر الله عز وجل عن جبريل عليه السلام أنه جاء مريم في صورة بشرية فقال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيًّا ، فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً** ﴾ . (مريم : ١٦،١٧) .

---

(١) رواه مسلم (١٢٣/١٨) الزهد ، والمارج لهب النار المختلط بسوادها .
(٢) رواه البخاري (٣١٣/٦) بدء الوحي .

وفي حديث جبريل المشهور حين جاء يعلم الصحابة معنى الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء على هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر[1].

والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من أكل من الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم** »[2].

وتتأذى كذلك من الأماكن التي يعصى فيها الله عز وجل فلا تدخلها ، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة** »[3] ، وهم منظمون في كل شؤونهم وقد حثنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الاقتداء بهم في ذلك فقال : « **ألا تُصَفُّونَ كما تصف الملائكة عند ربها** ؟ . قالوا : وكيف يصفون عند ربهم . قال : « **يكملون الصف الأول فالأول ويتراصون في الصف** »[4] .

---

(١) الإيمان (٢٠) باختصار ، وحديث جبريل رواه مسلم (١٥٧/١ – ١٦٠) الإيمان والترمذي (٧٧/١٠، ٧٨) الإيمان ، وأبو داود (٤٦٧٠) السنة ، والنسائي (٩٧/٨) الإيمان .

(٢) رواه البخاري (٣٣٠/١٣) بمعناه الاعتصام،ومسلم (٥٠/٥) المساجد بلفظه ، وأبو داود (٣٨٠٤) الأطعمة ، والترمذي (٣١٢/٧) الأطعمة والنسائي (٤٣/٢) المساجد .

(٣) رواه البخاري (٣٩١/١٠) اللباس ، ومسلم (٨٤/١٤) ، وقال القرطبي في المفهم : إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة لأن متخذها قد تشبه بالكفار لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته هجرا له لذلك .

(٤) رواه مسلم (١٥٣/٤) الصلاة ، وأبو داود (٦٤٧) الصلاة ، والنسائي (٩٢/٢) الإمامة .

ولا يملون ولا يتعبون من عبادة ربهم عز وجل قال تعالى : ﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾ . (الأنبياء : ٢٠) .

وقال عز وجل : ﴿ **فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ** ﴾ . (فصلت : ٣٨) .

وهم مع عظم خلقهم واجتهادهم في عبادة ربهم عز وجل وتنزههم عن المعاصي من أعظم الخلق خوفا من الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **وَلله يَسْجُدُ مَا في السَّمَـواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِن فَوقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ** ﴾ . (النحل: ٤٩، ٥٠) ، وقال عز وجل : ﴿ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلَائِكَةُ مِنْ خِيْفَتِهِ** ﴾ . (الرعد : ١٣) .

أقسام الملائكة :

قال في معارج القبول ما ملخصه :

هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام :

- فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام قال تعالى : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُبِين** ﴾ .

(الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥) .

- ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفهِ إلى حيث أمره الله عز وجل وهو ميكائيل عليه السلام ، وهو ذو مكانة عالية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه عز وجل ، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل .
- ومنهم الموكل بالصور وهو إسرافيل عليه السلام ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **كيف**

أنْعَمُ وصاحب القرن قد التقم القرنَ وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له قالوا : كيف نقول يا رسول الله ؟ . قال : « **قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا** »[1].

- ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** ﴾ . (السجدة : ١١) .

وقد جاءت الأحاديث أن أعوان ملك الموت يأتون العبد بحسب عمله ، إن كان محسنا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة ، وإن كان مسيئا ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد .

- ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله ، وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته ، وهم المعقبات قال تعالى : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِن بَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ** ﴾ . (الرعد : ١١) .

قال ابن عباس : والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه . وقال تعالى : ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِن الرَّحْمَنِ** ﴾ . (الأنبياء : ٤٢) ، قال ابن كثير : أي بدل الرحمن ، يمتن سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده وحفظه لهم بالليل والنهار ، وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام .

- ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِيْنَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ .

---

(١) رواه الترمذي (٩/٢٦١) أبواب صفة القيامة وقال : هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه هذا الحديث عن عطية عن أبي سعيد الخدري وصححه الألباني (٢٥٦١) صحيح الترمذي .

(الانفطار : ١٠ – ١٢) ، وقال تعالى : ﴿ **إذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمِيْنِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ . (ق١٧:١٨) ، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ، فيقول : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون** »[1].

* ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام قال الله تعالى : ﴿ **وَسِيقَ الَّذِيْنَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إلَى الجَنَّةِ زُمَراً ، حَتَّى إذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُم فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ . (الزمر : ٧٣) .

* ومنهم خزنة جهنم عياذا بالله منها ، وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر ، ومقدمهم مالك عليهم السلام قال تعالى : ﴿ **وَنَادَوْا : يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إنَّكُمْ مَاكِثُونَ** ﴾ . (الزخرف : ٧٧) .

* ومنهم حملة العرش : قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِه وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ . (غافر : ٧) .

* ومنهم ملائكة سَيَّاحُون يتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم منهم ، ما يقول عبادي ؟ قالوا : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٣/٢) مواقيت الصلاة ، ومسلم (١٣٣/٥) المساجد .

(٢) الحديث رواه البخاري (٢٠٩،٢٠٨/١١) الدعوات ، ومسلم (١٥،١٤/١٧) الذكر والدعاء ، والترمذي (٨٩/١٣) الدعاء .

* ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون ، وقيام لا يركعون ، وركع وسجد لا يرفعون .

عن حكيم بن حزام قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أصحابه إذ قال لهم : « **أتسمعون ما أسمع ؟** » . قالوا : ما نسمع من شيء . قال : « **إني لأسمع أطيط السماء ، وما تلام أن تئط ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم** »[1].

* ومنهم غير ذلك . ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هي إلا ذكرى للبشر** ﴾[2]. (المدثر : ٣١) .

المفاضلة بين الملائكة والبشر[3]:

لا خلاف في أن المفاضلة المقصودة هي المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر كالأنبياء ، أما الكفرة والمنافقون فهؤلاء أضل من البهائم كما قال الله عز وجل : ﴿ **أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ** ﴾ . (الأعراف : ١٧٩) ، والذي نسبه شارح الطحاوية إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء على الملائكة ، والمعتزلة يفضلون الملائكة ، وأتباع الأشعري على قولين منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولا ، وذكر أن أبا حنيفة توقف في المسألة وإلى التوقف جنح شارح الطحاوية وذكر السفاريني في (لوامع الأنوار ٣٨٩/٢) أن الإمام أحمد كان يقول : يخطيء من فضل الملائكة ، وقال : كل مؤمن أفضل من الملائكة .

---

(١) أخرجه الطحاوي (٤٣/٢) مشكل الآثار ، والطبراني في الكبير وقال الألباني : وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم وفي ابن عطاء كلام لا يضر وله شاهد من حديث أنس بن مالك مرفوعا – الصحيحة (٨٥٢) .

(٢) معارج القبول (٧٨-٨٩) باختصار وتصرف .

(٣) انظر « عالم الملائكة الأبرار » للدكتور عمر سليمان الأشقر (٧٤-٧٧) باختصار .

أدلة الذين يفضلون صالحي البشر على الملائكة :

إن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم فلولا فضله ما أمروا بالسجود له :

١ - ﴿وإذ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ . (البقرة : ٣٤).

٢ - إن الله تعالى خلق آدم بيده وخلق الملائكة بكلمته .

٣ - تفضيل بنى آدم عليهم بالعلم ، حين سألهم الله عز وجل عن علم الأسماء فلم يجيبوه ، واعترفوا أنهم لا يحسنونها فأنبأهم آدم بذلك ، وقد قال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . (الزمر : ٩) .

٤ - ومما يدل على تفضيلهم أن طاعة البشر أشق ، والأشق أفضل فإن البشر مجبولون على الشهوة والحرص والغضب والهوى وهي مفقودة في الملك .

٥ - ومما يدل على تفضيلهم أن الله عز وجل يباهي بأهل الإيمان والطاعة ملائكته إذا أدوا ما أوجبه عليهم ، كما يباهي بأهل عرفات فعن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم : انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثا غُبْراً** »[1].

أدلة الذين فضلوا الملائكة :

* استدلوا بمثل قوله تعالى في الحديث القدسي : « **من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم** »[2] .
* واستدلوا كذلك بأن بني آدم فيهم النقص والقصور وتقع منهم الزلات والهفوات

(١) رواه ابن حبان (١٠٠٦) الحج موارد ، والحاكم (٤٦٥/١) المناسك وقال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص والألباني في صحيح الجامع (١٤١/٢) .

(٢) رواه البخاري (٣٨٤/١٣) التوحيد ، ومسلم (٣،٢/١٧) الذكر والدعاء ، والترمذي (٩١/١٣) الدعوات .

واستدلوا كذلك بمثل قوله تعالى : ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ (الأنعام : ٥٠).

والتحقيق في المسألة : ما ذكره ابن تيمية من أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا الدرجات العلى وحياهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه ، وتجلى لهم ، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم .

والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى ، منزهون عما يلابسه بنو آدم ، مستغرقون في عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر ، قال ابن القيم : بهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه والله أعلم بالصواب .

ثمرات الإيمان بالملائكة في عقيدة المؤمن[1]

الأولى : العلم بعظمة الله تعالى وقوته وسلطانه ؛ فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق عز وجل .

الثانية : شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ، حيث وظف من الملائكة من يحفظهم ويرفع دعواتهم ويستغفر للمؤمنين منهم ويبلغهم بشارات الله عز وجل لهم .

الثالثة : محبة الملائكة وموالاتهم : فيجب على المؤمن أن يحب جميع الملائكة ، فلا يفرق في ذلك بين ملك وملك ، لأنهم جميعا عباد الله عاملين بأمره تاركين لنهيه ، وهم في هذا وحدة واحدة لا يختلفون ولا يفترقون ، وقد زعم اليهود أن لهم أولياء وأعداء من الملائكة

---

(١) انظر رسائل في العقيدة للعثيمين وعالم الملائكة الأبرار للأشقر والعقائد الإسلامية لسيد سابق .

وزعموا أن جبريل عدو لهم وميكائيل ولي لهم ، فأكذبهم الله تعالى وأخبر أن من عادى ملكا واحدا عادى الله عز وجل وجميع الملائكة قال عز وجل : ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ الله مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدَىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ، مَن كَانَ عَدُوّاً لله وَمَلَائِكَتِهِ ورُسُلِهِ وَجِبْرِيْلَ وَمِيْكَالَ فَإِنَّ الله عَـدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ . (البقرة : ٩٧-٩٨) .

الرابعة : التشبه بالملائكة في مداومتهم على طاعة الله عز وجل بلا ملال ولا كلال ، والتعاون معهم على الحق والخير .

الخامسة :اليقظة التامة إذا آمن العبد بالكرام الكاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ، فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو حسن ، ولا يتصرف إلا لغاية كريمة .

السادسة: البعد عن إيذاء الملائكة ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، وأعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي ، ولذا فإن الملائكة لا تدخل البيوت التي يعصى فيها الله تعالى ، أو التي يوجد فيها ما يكرهه الله تعالى ويبغضه كالأنصاب والتماثيل والصور ، ويتأذون كذلك بالروائح الكريهة والأقذار والأوساخ ، روى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم** »[1].

السابعة : الاستئناس بالملائكة في طاعة الله عز وجل حيث أن الله عز وجل يثبت بهم أولياءه على طاعته كما قال تعالى : ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ . (الأنفال : ١٢) .

---

(١) تقدم تخريجه (ص : ١٦٨)

٣ – الإيمان بالكتب[١]

الركن الثالث من أركان العقيدة هو الإيمان بالكتب ، ودل على وجوبه قوله عز وجل : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيْسَى وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ . (البقرة : ١٣٦) .

وقوله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ، وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً** ﴾ . (النساء : ١٣٦) ، وقوله تعالى : ﴿ **وقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ . (الشورى : ١٥) .

ويشمل الإيمان بالكتب عدة أمور :

أولا – الإيمان الجازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين .

ثانيا – الاعتقاد بأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره ، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد ، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بلا واسطة ، ومنها ما يسمعه الرسول المَلَكِي ويأمره بتبليغه إلى الرسول البشري كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِي بِإِذْنِهِ**

---

(١) انظر معارج القبول لحافظ بن أحمد والعقائد الإسلامية لسيد سابق .

مَايَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيْمٌ ﴾ . (الشورى : ٥١) .

ومنها ما خطه بيده عز وجل كما قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شيءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ . (الأعراف : ١٤٥) .

ثالثا : الاعتقاد بكل ما فيها من الشرائع ، وأنه كان واجبا على الأمم الذين نزلت إليهم هذه الكتب الانقياد لها والحكم بما فيها ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيْهَا هُدَىً ونورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ . (المائدة : ٤٤) . إلى أن قال عز وجل : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَينَاهُ الإِنْجِيْلَ فِيهِ هُدَىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيهِ مِن التَّوْرَاةِ وَهُدَىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ، وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيْلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْه فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ . (المائدة : ٤٦-٤٨) .

رابعا : الاعتقاد بأن جميع الكتب المنزلة يصدق بعضها بعضا كما قال تعالى في الإنجيل : ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ . (المائدة : ٤٦) ، وقال في القرآن : ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْه ﴾ . (المائدة : ٤٨) .

خامسا : الإيمان بأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق ، كما نسخت بعض شرائع التوراة بالإنجيل ، قال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام :

﴿ **وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** ﴾ . (آل عمران : ٥٠) ، وكما نسخت شريعة الإسلام ما قبلها من الشرائع قال الله عز وجل ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ** ﴾ (آل عمران : ١٩) ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران : ٨٥) ، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني** »[1].

سادسا : ينبغي أن نعتقد كذلك أن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق كما قال تعالى : ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾ . (البقرة : ١٠٦) ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ . (النحل : ١٠١) .

والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات في مواضعها من كتب التفسير وغيرها .

سابعا : الاعتقاد بأن القرآن لا يأتي بعده كتاب ينسخه ، ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده ، وأن الله عز وجل قد تكفل بحفظه فقال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ . (الحجر : ٩) .

ثامنا : الإيمان بكتب الله عز وجل إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل ، فقد سمى الله تعالى من كتبه القرآن على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والتوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ، وذكر الله كذلك صحف إبراهيم وموسى .

---

(١) رواه الدارمي (١/١١٥،١١٦) وأحمد (٣/٣٨٧) وحسنه الألباني في المشكاة وتحقيق بداية السول .

تاسعا : الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد حرف فيهما وبدل ، قال الله عز وجل عن التوراة : ﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِه** ﴾ . (النساء : ٤٦) .

ومن الدلائل كذلك على تحريف التوراة أن فيها من وصف الله عز وجل بما لا يليق بجلاله ، وكماله ، وكذلك فيها ما يمس شرف الأنبياء ويتنافى مع مالهم من عصمة ومكانة رفيعة وخلق متين .

وقال الله عز وجل في حق الإنجيل : ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَى أَخذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ الله بِما كَانُوا يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ** ﴾ . (المائدة : ١٤، ١٥) ، ويكفي لصحة الدليل على التحريف في الأناجيل المتداولة بأيدي النصارى الآن أنها أربعة اختيرت من نحو سبعين إنجيلا .

عاشرا : الإيمان بأن القرآن جاء مصدقا لما تقدمه من الكتب الإلهية ومهيمنا عليها .

قال الشيخ سيد سابق حفظه الله : ومعنى ذلك أن القرآن جاء مؤيدا للحق الذي ورد فيها من عبادة الله وحده ، والإيمان برسله والتصديق بالجزاء ورعاية الحق والعدل والتخلق بالأخلاق الصالحة ، وهو في الوقت ذاته مهيمن عليها ومبين ما وقع فيها من أخطاء وأغلاط وتحريف وتصحيف وتغيير وتبديل .

وإذا انتفت هذه الأخطاء التي أدخلها رجال الدين على الكتب السماوية وزوروها على الناس باسم الله ظهر الحق واستبان والتقى القرآن مع التوراة والإنجيل .

﴿ قُل يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ ﴾ . (المائدة : ٦٨) .

وإقامتها لا تتحقق إلا بعد تطهيرها من الزيف[١].

ثمرات الإيمان بالكتب[٢]:

الأولى : العلم بعناية الله تعالى بعباده حين أنزل لكل قوم كتابا يهديهم به .

الثاني : العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ . (المائدة : ٤٨) .

الثالثة : شكر نعمة الله في ذلك .

---

(١) العقائد الإسلامية (١٦٩) .

(٢) رسائل في العقيدة للعثيمين (٢٣) .

٤ – الإيمان بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام[1]

الركن الرابع من أركان العقيدة هو الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام، والرسل جمع رسول ، والرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ ، أما من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي وليس برسول ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً .

* ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، قال الله عز وجل : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ** ﴾ . (البقرة : ٢٨٥) ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ . (الرعد : ٧) .

* وينبغي الاعتقاد بأن كلهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء ، هداة مهتدون وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون ، وأن الكفر بواحد منهم كفر بجميعهم بل كفر بالإيمان كله ، قال الله عز وجل : ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ المُرْسَلِينَ** ﴾ . (الشعراء : ١٠٥) ، وَإِنَّمَا أرسل إليهم نوح وحده ، فكان تكذيبهم نوحا عليه السلام تكذيباً لكل الرسل ، لأن دعوة الرسل واحدة وهي دعوة التوحيد .

---

(١) انظر معارج القبول – ولوامع الأنوار البهية – والعقائد الإسلامية – ورسائل في العقيدة .

* وينبغي الاعتقاد بأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به لم يكتموا منه حرفا واحدا ، ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من أنفسهم حرفا ولم ينقصوه ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين قال الله عز وجل مخبرا عن خاتمهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيل ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِين ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِين ، فَمَا مِنْكُمْ مِن أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾ . (الحاقة : ٤٤-٤٧) .

* وينبغي الاعتقاد بأنهم كانوا على الحق المبين والهدى المستبين وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا كما قال تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذَ الله إِبْرَاهِيْمَ خَلِيلاً** ﴾ . (النساء : ١٢٥) ، واتخذ محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم خليلا كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لو كنت متخذا من البشر خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله** »[1].

وكلم الله موسى تكليما كما قال تعالى : ﴿ **وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيماً** ﴾. (النساء : ١٦٤) ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته إلى مريم وروح منه .

* وينبغي الاعتقاد بأن الله عز وجل فضل بعضهم على بعض كما قال تعالى : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ . (البقرة : ٢٥٣) .

وقال عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً** ﴾ . (الإسراء : ٥٥) ، أما قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تفضلوا بين أنبياء الله** »[2]، فالمقصود بذلك التفضيل بمجرد التشهي وبغير

(١) رواه البخاري (١٢/٧) فضائل الصحابة ، ومسلم (١٥٠/١٥،١٥١) فضائل الصحابة .
(٢) رواه البخاري (٤٥٠/٦) الأنبياء بلفظ : « **لا تفضلوا بين أولياء الله** » . ورواه كذلك بلفظ : « **لا تخيروا بين الأنبياء** » (٧٠/٥) الخصومات ورواه مسلم (١٣٣/١٥) الفضائل بلفظ « **لا تخيروا** » .

دليل شرعي ، أو التفضيل في النبوة ذاتها ، أو التفضيل بغرض تنقيص المفضول .

* وينبغي الاعتقاد بأن دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم واحدة وهي دعوة الإسلام قال الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَام** ﴾ . (آل عمران : ١٩) ، فأصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ونفي ما يضاد ذلك واحد في جميع الرسالات كما قال الله عز وجل : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّيْنِ مَا وَصَّى بِهِ نُوْحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيْمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّيْنَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيه** ﴾ . (الشورى : ١٣) .

وأما فروع الفرائض من الحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ، ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ، ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس ، قال تعالى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً** ﴾ . (المائدة : ٤٨) .

* وهؤلاء الرسل منهم من قصه الله علينا فذكرهم بأسمائهم ، ومنهم من لم يقصصه كما قال تعالى : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيك** ﴾ . (النساء : ١٦٤) .

أما الذين قصهم الله علينا فعددهم خمسة وعشرون وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيْمَ عَلَى قَوْمِهِ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيْمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعَقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ، وِمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيْسَى وَإِليَاسَ كُلٌّ مِنَالصَّالِحِينَ وإِسمَاعِيلَ والْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ** ﴾ . (الأنعام : ٨٣-٨٦) ، وقد جمعت هذه الآيات ثمانية عشر رسولا ، ويجب الإيمان بسبعة آخرين مذكورين في عدة آيات :

﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . (آل عمران : ٣٣) .

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ . (الأعراف : ٦٥) .

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ﴾ . (هود : ٦١) .

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾ . (هود : ٨٤) .

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . (الأنبياء : ٨٥،٨٦) .

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ . (الأحزاب : ٤٠) .

ولم تخل أمة من رسول يدعوها إلى الله ويرشدها إلى الحق كما قال تعالى :

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ . (فاطر : ٢٤) .

وقال : ﴿ولِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُول ﴾ . (يونس : ٤٧) .

والرسول بشر من نفس الأمة كما قال الله عز وجل حاكيا عن خاتمهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ .
(الكهف : ١١٠) .

ومما يدل على بشريتهم كذلك أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويتزوجون كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾ . (الفرقان : ٢٠) .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّة ﴾ . (الرعد : ٣٨) .

ويتعرض الرسول لما يتعرض له سائر البشر من المرض والموت قال الله

عز وجل : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ . (الأنبياء : ٨٣)

والرسول لا يعلم الغيب ولا يملك ضرا ولا نفعا ، قال عز وجل عن رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . (الأعراف : ١٨٨) .

والرسول لا يكون إلا رجلا فلم يرسل الله ملكا ولا أنثى ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ . (الأنبياء : ٧) .

قال الإمام السفاريني رحمه الله : أثبت الرسالة للرجال الموحى إليهم وأشعر بنفي ذلك عن غيرهم ، خلافا لأهل التوراة الزاعمين نبوة مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام ، وقد خالف في اشتراط الذكورة أبو الحسن الأشعري ثم القرطبي وتبعهما على ذلك أُناس من العلماء ، والحق اعتبار الذكورية ، لأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة ، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار ، لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع[1] .

وقال عز وجل : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً ﴾ . (الإسراء : ٩٥) .

فالرسل بشر من البشر ، وإن كانوا من معدن كريم خصه الله بمواهب عقلية وروحية ، واصطنعهم الله عز وجل لنفسه ، ورباهم على عينه قال الله عز وجل : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه ﴾ . (الأنعام : ١٢٤) .

وقال عز وجل : ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ . (الحج : ٧٥) .

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/٢١٥،٢١٦) .

وإنما خص الله الرسول بمزايا وفضائل ليقوى على الاضطلاع بأعباء الرسالة ، وليكون مثالا يقتدى به في أمور الدين والدنيا ، ولو لم يتميز رسل الله بهذه الخصائص العقلية والروحية لما كانوا أهلا لحمل الرسالة ، وينبغي الاعتقاد كذلك بعصمة الرسل الكرام بل وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله عز وجل : ﴿ **وَمَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ** ﴾ . (آل عمران : ١٦١) ، ومعنى العصمة أنهم لا يتركون واجبا ، ولا يفعلون محرما ، ولا يقترفون ما يتنافى مع الخلق الكريم .

وينبغي الاعتقاد كذلك بأن الله عز وجل قد حلاهم بالأخلاق العظيمة من الصدق والأمانة والطهر والنزاهة ، وتولى عز وجل تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم ، حتى صاروا قمما شامخة وأهلا للاصطفاء والاجتباء .

قال السفاريني رحمه الله : الأنبياء منزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن واللهو واللغو وسائر الأخلاق الذميمة ، كما أنهم مبرؤون من لؤم النسب وشره القلب وحرص النفس على الدنيا ، ولهذا لم يبعث الله نبيا إلا في أشرف نسب أمته فلم يبعث نبيا من ذي نسب مبذول ، كما لم يبعث نبيا عبدا ولا لئيما ولا امرأة لعلو مرتبة الذكورة على الأنوثة مع طلب عدم الاشتهار مع النساء المطلوب للدعوة ،ولكون النفوس مائلة في ذواتهن بسبب الطبع فيغفلون عن مقالهن ، والحاصل اختصاص النبوة بأشرف أفراد النوع الإنساني من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ، ولو في الصبى كعيسى ويحيى عليهما السلام ، والسلامة من كل منفر عن الاتباع كدناءة الآباء وعهر الأمهات والغلظة ، والعيوب المنفرة للطباع كالبرص والجذام ، والأمور المخلة للمروءة كأكل على الطريق والحرف الدنية كالحجامة ، وكل ما يخل بحكمة البعثة ونحو ذلك وبالله التوفيق[1].

قال الله عز وجل : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ**

(١) لوامع الأنوار (٢٦٦/١،٢٦٧) .

يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِيْنَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه ﴾ . (الأنعام : ٨٩ ، ٩٠) .

وقال عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ . (الأنبياء : ٧٣) .

* وينبغي أن نعتقد أن أفضل الرسل هم أولو العزم منهم ، والمشهور أنهم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم .

وقد ذكرهم الله عز وجل في آيتين :

الأولى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيينَ مِيْثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابنِ مَرْيمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيْثَاقاً غَلِيْظاً ﴾ . (الأحزاب :٧).

الثانية : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّيْنَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ . (الشورى : ١٣) .

* وينبغي أن نعتقد كذلك أن أفضل الرسل على الإطلاق هو رسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما قال الطحاوي رحمه الله : « وَإن محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى ، وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين وكل دعوى النبوة بعده فغيٌّ وهوى »[١]، وأدل دليل على رفعة درجة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما جاء في سورة آل عمران من تبشير الأنبياء به ، وأخذ العهد والميثاق عليهم بالإيمان به ونصرته إذا هم أدركوا بعثته : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ

(١) انظر شرح كلام الطحاوي بالتفصيل في بحثنا « تقريب الوصوْل إلى معرفة الرسولْ صلى الله عليه وعلى آله وسلم » .

مِيثَاقَ النَّبِيينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ : أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا . قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

(آل عمران : ٨١) .

وروي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **وَالله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني** »[١].

* وينبغي أن نعتقد كذلك أن رسولنا محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم الأنبياء وأن النبوة قد انقطعت بعده صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فلا نبوة ولا رسالة بعد رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الله تعالى : **﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ الله وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾** . (الأحزاب : ٤٠) ، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا ، فأكملها وأحسنها ، إلا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ، فأنا موضع اللبنة ، ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام** »[٢] .

* وينبغي أن نعتقد كذلك أن النبوة لا تنال بمجرد الكسب والجد والاجتهاد وتكلف أنواع العبادات واقتحام أشق الطاعات .

قال في الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية :

وَلَا تُنَالُ رتْبَةُ النُّبُوَّةِ بِالكَسْبِ وَالتَهْذِيبِ وَالفُتُوَّة
وَلكِنَّهَا فَضْلٌ مِن المَوْلى الأَجَلْ لِمَنْ يَشَا مِنْ خَلْقِهِ إِلَى الأَجَلْ

وهذا خلاف قول الفلاسفة المجوزين اكتساب النبوة ، بزعمهم أن من لازم

(١) تقدم تخريجه (ص : ١٧٨) .
(٢) رواه البخاري (٦/٥٥٨) الأنبياء ، ومسلم (١٥/٥٠،٥١) الفضائل .

الخلوة والعبادة ، وداوم المراقبة ، وتناول الحلال وإخْلَاء نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة ، بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرآة باطنه ، وفتحت بصيرة لبه ، وتهيأ لما لا يتهيأ له غيره من التحلي بالنبوة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهؤلاء عندهم النبوة مكتسبة وكان جماعة من زنادقة الإسلام يطلبون أن يصيروا أنبياء ، والحاصل أن النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة يَمُنُّ بها سبحانه ويعطيها لمن يشاء أن يكرمه بالنبوة ، فلا يبلغها أحد بعمله ، ولا يستحقها بكسبه ، ولا ينالها عن استعداد ولايته بل يخص بها من يشاء من خلقه ، ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله ، لأنه يقتضي كلامه واعتقاده أن لا تنقطع ، وهو مخالف للنص القرآني والأحاديث المتواترة بأن نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم النبيين عليهم السلام .

فصل في المعجزات والفرق بين المعجزة والكرامة :

قال الشيخ سيد سابق حفظه الله ما ملخصه : لم يرسل الله رسولا ليبلغ الناس الدين ويعلمهم الشريعة إلا وأيده بالآيات التي تقطع بأنه مرسل من عنده وأنه موصول بالملأ الأعلى يتلقى عنه ويأخذ تعليمه منه ، وهذه الآيات التي يؤيد الله بها رسله لابد وأن تكون فوق مقدور البشر وخارج نطاق طاقتهم وعلومهم ومعارفهم ، كما يجب أن تكون مخالفة للسنن الخاصة بالمادة وخارقة للعادات المعروفة والقوانين الطبيعية المألوفة .

ولذلك سمى العلماء هذه الآيات بالمعجزات لأنها تعجز العقل عن تفسيرها ، وعرفوا المعجزة بأنها الأمر الخارق للعادة الذي يجريه الله على يدي نبي مرسل ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوته .

ومن ثم كانت المعجزة ضرورية وإظهارها واجبا ، ليتم بها المقصود من تبليغ الرسالة وتقام بها حجة الله على الناس .

ولا تلتبس معجزات الرسل وآيات الأنبياء بما يحدث على يد غيرهم من خوارق العادات ، فإن المعجزات تأتي مصحوبة بالتحدي وتصدر عن رجال عرفوا بالتقوى والصلاح ، وأنهم بلغوا منهما الذروة التي لا يتطاول إليها أي إنسان .

وتأتي المعجزات بدون كسب لأحد من البشر فالله هو الذي يمدهم بها مباشرة لأنها كما قلنا ليست في مقدورهم ولا مقدور غيرهم من الناس ، وإنما هي آية من الله وحده ومعجزة لنبيه يتحدى بها معارضيه ، وأما مايظهر على يد غير الرسل من خوارق العادات فهو كما قال الشيخ رشيد رضا : منقول عن جميع الأمم في جميع العصور نقلا متواترا في جنسه دون أنواعه وليست كلها حقيقة .

والكرامة هي ما يكرم الله به أولياءه بما يظهره على أيديهم ، وليس من شرطها أن تكون خارقة للعادة ولا خارجة عن مألوف الناس ، ومن الكرامة الاستقامة والتوفيق إلى طاعة الله وزيادة في العلم وهداية الخلق إلى الحق .

وقد يحدث بعض الخوارق للعادات على أيدي بعض الصالحين في بعض الأحوال فيعد ذلك من الكرامات التي تلازم بعض المخلصين لله والمتفرغين لعبادته والذين سلمت فطرتهم وزكت نفوسهم كما وقع للسيدة مريم وقد حكى القرآن الكريم عنها أنه : ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً ، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ : هُوَ مِن عِنْدِ الله ، إنَّ الله يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب** ﴾ .
(آل عمران : ٣٧) .

ولكن مع ذلك لا يتحدى بها بل الأصل فيها الإخفاء والكتمان ، قال بعضهم : إن الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض ، وهذا يخالف المعجزة لأن إظهارها واجب ليتم بها تبليغ الرسالة .

ثمرات الإيمان بالرسل صلى الله عليهم وسلم :

الأولى : العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ويبينوا لهم كيف يعبدون الله لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك .

الثانية : شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى .

الثالثة : محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم ، لأنهم رسل الله تعالى ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده[1] .

(١) رسائل في العقيدة للعثيمين (٢٧) .

٥ - الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان كما أشار إليه حديث جبريل عليه السلام ، وهو يشمل الإيمان بما في يوم القيامة من أحداث البعث والنشور والحساب والميزان والصراط وما قبل القيامة من الموت وسؤال القبر وحياته وبما بعد القيامة من دار القرار الجنة والنار .

قال الله تعالى في وصف المتقين : ﴿ **والَّذينَ يُؤمِنُون بِمَا أُنزِلَ إلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ . (البقرة : ٤) .

وقال تعالى : ﴿ **لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ** ﴾ . (البقرة : ١٧٧) .

وقال تعالى : ﴿ **إنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَرَيْبَ فِيْهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤمِنُونَ** ﴾ . (غافر : ٥٩) .

وفي الصحيحين أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فناداه بصوت جهوري قال : يا محمد متى الساعة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **وَيْحَكَ إن الساعة آتية فما أعددت لها** ؟ » قال : ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **المَرْءُ مع من أحب** »[1]، فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث ، والإيمان باليوم الآخر إيمان إجمالي فيما أُجمل من أُمور

---

(١) رواه البخاري (١٠/٥٥٣) الأدب ، ومسلم (١٦/١٨٥،١٨٦) البر والصلة والآداب .

الآخرة ، وتفصيلي فيما فصل من سؤال القبر وفتنة القبر وصفة أرض الحشر وصفة الصور الذي ينفخ فيه وكيفية حشر الناس يوم القيامة ، وما فصل الله عز وجل لنا من أحوال القيامة وأهوالها ، وما ثبت من ذلك على لسان المصطفى المعصوم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وتفصيل ما بعد القيامة من حياة الأبرار في جوار الكبير المتعال ، وحياة الأشقياء والفجار في دركات النار ، وسوف نختصر ذلك اختصارا إن شاء الله ونحيل إلى كتب التزكية والرقائق ، وإنما نتناول ذلك من الجانب العقائدي ، نسأل الله أن يرزقنا حسن الإيمان ، وأن يوفقنا لسكنى الجنان .

١ - الإيمان بالموت

الموت هو أول منازل الآخرة وإن كان بالنسبة إلينا مشاهد إلَّا أن كيفية خروج الروح ، ومخاطبة ملائكة الموت للميت عند خروج روحه ، وما ينكشف للميت من رحمة الله عز وجل وكرامته أو من سخط الله عز وجل وعذابه ، كل ذلك غيب بالنسبة لنا ، فالإيمان بالموت من هذه الحيثية من الإيمان بالغيب ويتناول ذلك أُمورا :

* منها تحتمه على كل المخلوقات إنسهم وجنهم بل وملائكة الله عز وجل وغيرهم مما نعلمه أو لا نعلمه من المخلوقات .

قال الله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيه تُرْجَعُونَ** ﴾ . (القصص : ٨٨) .

وقال تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ . (الرحمن : ٢٦،٢٧) .

وقال تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ . (العنكبوت : ٥٧) .

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون** »[1].

* ومنها : أن كلاً له أجل محدود وأمد ممدود ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه ، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذي هو صفته ، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه ثم كتبه الملك على كل أحد في بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة في أي مكان يكون وفي أي زمان ، فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ، ولا يغير ولا يبدل مما سبق به علم الله تعالى وجرى به قضاؤه وقدره قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً** ﴾ . (آل عمران : ١٤٥) ، وقال تعالى : ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ . (الأعراف : ٣٤) .

وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة رضي الله عنها : « اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إنكِ سَألتِ الله تعالى لآجالٍ مضروبة وآثارٍ موطؤةٍ وأرزاقٍ مقسومة لا يعجل شيء منها قبل حِله ، ولا يؤخر منها يوما بعد حله ، ولو سألت الله تعالى أن يعافيك من عذاب النار وعذاب القبر لكان خيرا لك** »[2].

* ومنها الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه

---

(١) رواه البخاري (١٣/٣٦٨) التوحيد بلفظه ، ومسلم (١٧/٣٩) الأدعية بزيادة في أوله .

(٢) رواه مسلم (١٦/٢١٣، ٢١٤) القدر .

لا اطلاع لنا عليه ، ولا علم لنا به وأن ذلك من مفاتح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها عن جميع خلقه فلا يعلمها إلا هو قال تعالى : ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ﴾ .
(لقمان : ٣٤) .

* ومنها ذكر العبد الموت وجعله على باله كما هو الردم بينه وبين آماله ففي حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أكثروا ذكر هاذم اللذات (الموت)** »[١] .

* ومنها وهو المقصود الأعظم التأهب له قبل نزوله والاستعداد لما بعده قبل حصوله ، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله ، إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار ، وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه ، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه قال الله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ، وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ، ولَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ . (المنافقون : ٩ – ١١) .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ** »[٢] . أي إن العبد يفرط فيهما ثم يندم عليهما بعد

(١) رواه الترمذي (١٨٧/١٠) الزهد وقال : هذا حديث حسن غريب ، والنسائي (٤/٤) الجنائز ، وابن ماجه (٣٤٣٤) الزهد وقال الألباني: حسن صحيح .

(٢) رواه البخاري (٢٢٩/١١) الرقاق ، والترمذي (١٨١/٩، ١٨٢) الزهد قال ابن الجوزي : قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش وقد =

فواتها .

ولقد حثنا الله عز وجل أعظمَ الحث وحضنا أشد التحضيض ودعانا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه قال الله تعالى : ﴿ **اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَالَكُمْ مِن مَّلْجَاءٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِن نَّكِيرٍ** ﴾ .

(الشورى : ٤٧) .

ب – سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه

يجب أن نؤمن بما أخبرنا به الله عز وجل وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من سؤال الملكين للإنسان في قبره عن ربه ودينه ونبيه ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ** ﴾ . قال : « **نزلت في عذاب القبر ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ونبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذلك قوله عز وجل : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾**[1] (إبراهيم : ٢٧) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى

= يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا فإن اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة ، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم » .
(فتح الباري : ١١/٢٣٠) .

(١) رواه البخاري (١١/٢٣٢) الجنائز ، ومسلم (١٧/٢٠٤، ٢٠٥) الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، والترمذي بمعناه (١١/٢٨٦) التفسير ، وأبو داود بمعناه (٤٧٢٤) السنة .

آله وسلم : « **إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم ، قال يأتيه ملكان ، فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فيراهما جميعا** ، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون ، **وأما المنافق الكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين** »[1] .

وقد دل الكتاب الكريم والسنة المتواترة على إثبات حياة القبر .

قال الله عز وجل : ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ . (السجدة : ٢١) ، وفي الآية دليل على عذاب القبر لأنه تعالى قال : ﴿ **مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى** ﴾ ، ولم يقل العَذَابَ الأَدْنَى فدل على أنهم بقيت لهم بقية من العذاب الأدنى يعذبون بها في قبورهم .

وقال عز وجل : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ** ﴾ . (غافر : ٤٦) .

فيخبر الله عز وجل عن حال فرعون وآله من يوم هلكوا إلى قيام الساعة ، وكيف أنهم يعرضون على النار وتعذب أرواحهم في النار ، ويوم تقوم الساعة يأمر الله عز وجل بهم إلى أشد العذاب .

---

(١) رواه البخاري (٣/٢٣٢) الجنائز ، ومسلم (١٧/٢٠٣) الجنة ، وأبو داود (٣٢١٥) الجنائز مختصرا ، والنسائي (٤/٩٧،٩٨) الجنائز . وقوله : « **لا تليت** » . أي لا تبعت الناس بأن تقول شيئا يقولونه وقيل معناه : ولا قرأت .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ . (الطور : ٤٧) ، والدليل فيها على إثبات عذاب القبر أن كثيرا من الكفرة والظلمة يموتون ولا يعذبون في الدنيا فدل ذلك على عذاب دون عذاب النار وهو عذاب القبور .

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مر بقبرين فقال : « **إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان لا يستبريء من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة** » . ثم دعا بجريدة فشقها نصفين فقال : « **لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا** »[1].

قال ابن القيم رحمه الله : مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العباد ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى[2].

---

(١) رواه البخاري (٣١٧/١) الوضوء ، ومسلم (٢٠٠/٣) الطهارة والترمذي (٩١،٩٠/١) الطهارة ، وأبو داود (٢٠) الطهارة والنسائي (٢٨/١ - ٣٠) الطهارة .

(٢) كتاب الروح (٧٦) .

ج - يوم القيامة

ويشمل البحث فيه عدة موضوعات :

أشراط الساعة - البعث وأدلته - الحساب - الميزان - الصراط .

١ - أشراط الساعة (علامات الساعة)

أشراط الساعة الصغرى :

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تقوم الساعة حتى تقتتل فتتان عظيمتان وتكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة** »[١].

٢ - وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تقوم الساعة حتى يكثر الهَرْجُ قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : « القتل القتل** »[٢].

قال الجزائري حفظه الله : وقد ظهرت هذه العلامة فعلا فإن الحروب التي تقع في هذه الظروف قتلاها لا يعدون بالعشرات ولا بالمئات ولا حتى بالألوف بل بعشرات الألوف ومئاتها في حين أن قتلى حروب الإسلام الأولى التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتي دامت زهاء عشر سنوات لم تتجاوز ألف وخمسمائة قتيل[٣].

٣ - وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات**

---

(١) رواه البخاري (٨١/١٣) الفتن ، ومسلم (١٣/١٨) الفتن .

(٢) رواه مسلم (١٣/١٨) الفتن .

(٣) ونسبه الجزائري لأبي الحسن الندوي - عقيدة المؤمن (٢٧٧) .

عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه »[1] . وهذه العلامة لم تظهر .

٤ – وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مدها ودينارها ، ومنعت مصر أردبها ودينارها ؟ وعدتم من حيث بدأتم »**[2] .

وهذا الحديث مع كونه من أعلام النبوة لكون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تكلم به قبل فتح هذه البلاد فهو كذلك يشير إلى علامة من علامات الساعة وهي سقوط الخلافة واستقلال أهل العراق بعراقهم وأهل الشام بشامهم وأهل مصر بمصرهم ، وانقطع ما كان يأتي أهل الحجاز من تلك البلاد من خراج وغيره .

٥ – وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى »**[3] .

وقد ظهرت هذه العلامة كما أخبر صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقد احترقت الحرة الشرقية من المدينة النبوية واستمرت النار ملتهبة فيها مدة طويلة ولهبها يرى من بصرى الشام وذلك ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة عام (٦٥٤) .

٦ – وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تقوم الساعة حتى تضرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة ، وكانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة »**[4] وقد ظهرت هذه العلامة وفق إخباره صلى الله عليه

---

(١) رواه البخاري (٧٩،٧٨/١٣) الفتن ، ومسلم (١٨/١٨) الفتن ، وأبو داود (٤٢٩١) الملاحم ، والترمذي (٤١،٤٠/١٠) صفة الجنة .

(٢) رواه مسلم (٢٠/١٨) الفتن ، وأحمد (٢٦٢/٢) .

(٣) رواه البخاري (٧٨/١٣) الفتن ، ومسلم (٣٠/١٨) الفتن .

(٤) رواه البخاري (٧٦/١٣) الفتن ، ومسلم (٣٣،٣٢/١٨) الفتن .

وعلى آله وسلم وعادت الجاهلية إلى أرض الجزيرة قبيل دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله فعبدت الأشجار والأحجار .

٧ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويكثر النساء ، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد** »[١] .

٨ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاقال: يا رسول الله !متى الساعة ؟ فقال : « **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة** » . قال : وكيف إضاعتها ؟ قال : « **إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة** »[٢].

٩ - ومن العلامات الصغرى كذلك بعثة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **بعثت أنا والساعة كهاتين** »[٣]، وأشار بالسبابة .

١٠ - ومن علامات الساعة ما جاء في حديث جبريل من قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان** »[٤]

---

(١) رواه البخاري (١٧٨/١) العلم ، ومسلم (٢٢١/١٦) العلم ،والترمذي (٥٦/٩) الفتن ، وابن ماجه (٣٢٧٨) .

(٢) رواه البخاري (٣٣٣/١١) الرقاق .

(٣) رواه البخاري (٣٤٧/١١) الرقاق ، ومسلم (٨٩/١٨) الفتن والترمذي (٦٠/٩) الفتن .

(٤) رواه البخاري (١١٤/١) الإيمان ، ومسلم (١٥٧/١ - ١٦٠) الإيمان ، والترمذي (٧٨،٧٧/١٠) الإيمان وأبو داود (٤٦٧٠) السنة ، والنسائي (٩٧/٨) الإيمان وفي رواية عند البخاري « **أن تلد الأمة ربها** » قال ابن حجر : في معنى هذا أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه كما يعامل السيد أمته ومعنى تطاول رعاء الشاء في البنيان الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا =

أشراط الساعة الكبرى :

روى حذيفة بن أسيد الغفاري قال : « طلع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « **ما تذاكرون ؟** » قالوا : نذكر الساعة . قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات**»، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم »[١].

قال الحافظ في الفتح : الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي ، وينتهي ذلك بقيام الساعة ، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب ، والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن عن الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة .

قال العلامة صديق حسن خان في كتابه الإذاعة وتحت باب في الفتن العظام والمحن التي تعقبها الساعة :

منها المهدي الموعود المنتظر الفاطمي وهو أولها ، والأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حد التواتر وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد .

= البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به .

(١) رواه مسلم (٢٨،٢٧/١٨) الفتن ، وأبو داود (٤٢٨٩) الملاحم، والترمذي (٣١،٣٠/٩) الفتن .

ويكون خروج الدجال ، وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلواته إلى غير ذلك[1].

وقال السفاريني : والذي يظهر والله أعلم أن أول الآيات خروج المهدي ثم الدجال ، ثم عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ، ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس من مغربها .

١ - المهـدي :

قال الشيخ سيد سابق حفظه الله :

خلاصة القول في الإمام المهدي : أنه سيظهر في آخر الزمان وأن اسمه « محمد بن عبد الله ، أو أحمد بن عبد الله ، وأنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن ولد فاطمة ، وأنه يشبه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق وأنه أجلى الجبهة[2] أقنى الأنف[3] ، وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا ، وأنه يقيم شريعة الإسلام ويحيي ما اندثر من سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[4].

وهذه بعض أدلة السنة على ثبوت المهدي :

١ - عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة** »[5] .

---

(١) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة (١٢٣،١٢٢) باختصار .

(٢) أى منحسر الشعر عن مقدم الرأس .

(٣) أي طويل الأنف مع حدب وسطه ودقة أرنبته .

(٤) العقائد الإسلامية (٢٥٠) .

(٥) رواه أحمد (٦٤٥) شاكر ، وابن ماجه (٣٣٠٠) الفتن ، وقال العلامة أحمد شاكر : صحيح الإسناد وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ومعنى يصلحه الله في ليلة : أي يتوب عليه ويوفقه ويلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك .

٢ – وعن أبي سعيد الخدري قال:قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **المهدي مني أجلى الجبهة ، أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، ويملك سبع سنين** »[١].

٣ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطى المال صحاحا ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، ويعيش سبعا أو ثمانية – يعني حججا** »[٢].

قال في الإذاعة : والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثا في الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة ، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول ، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضا لها حكم الرَّفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك[٣].

قال السفاريني رحمه الله :

وأما زعم الشيعة أن اسمه محمد بن الحسن وأنه محمد بن الحسن العسكري فهذيان ، فإن محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن[٤] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٦٥) الفتن ، والحاكم (٥٥٧/٤).الفتن والملاحم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم وقال الذهبي في التلخيص: عمران ضعيف لم يخرج له مسلم وحسنه الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول .

(٢) رواه الحاكم (٥٥٨/٤) الفتن والملاحم وقال:هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الألباني في الصحيحة (٧١١): هذا سند صحيح رجاله ثقات .

(٣) الإذاعة (١٢٤) .

(٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية (٧٢،٧١/٢) .

٢ - خروج الدجال :

قال العلامة صديق حسن خان :

وما أدراك ما الدجال منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن والأوحال ، والأحاديث الواردة فيه كثيرة جداً ذكر منها الشوكاني في التوضيح مائة حديث ، وهي في الصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد .

قال : وليس المراد هنا إلا بيان كون أحاديث خروج الدجال متواترة[١] .

وقال السفاريني : وقد أنذرت به الأنبياء قومها ، وحذرت منه أممها ، ونعتته بالنعوت الظاهرة ، ووصفته بالأوصاف الباهرة ، وحذر منه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنذر ، ونعته لأمته نعوتا لا تخفى على ذي بصر[٢] .

من هذه الأحاديث قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال** »[٣] .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه ك ف ر** »[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

---

(١) الإذاعة (١٥٦) وهو منقول من لوامع الأنوار (٨٦/٢) بتصرف .

(٢) لوامع الأنوار (٨٦/٢) .

(٣) رواه مسلم (٨٦/١٨) الفتن . وقال النووي : المراد أكبر فتنة وأعظم شوكة .

(٤) رواه البخاري (٩٠/١٣) الفتن ، ومسلم (٥٩/١٨) الفتن،وأبو داود (٤٢٩٤) وقال النووي رحمه الله : وإنما يدعي الألوهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس - شرح النووي على صحيح مسلم (٥٩/١٨) .

وسلم : « **ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه إنه أعور وأنه يجيء بمثل الجنة والنار ، فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه** »[1].

وذكر غير واحد من أهل العلم أن الذي معه من الجنة والنار على طريق الخيال دون الحقيقة ومنهم ابن حبان وقال جماعة منهم ابن العربي : هي على ظاهره امتحانا من الله تعالى لعباده .

قال الدكتور محمد نعيم ياسين : ومن أمارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالدجال لكثرة تدجيله وكذبه ، يدعي الألوهية ، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثهم من خوارق العادات وعجائب الأمور بإذن الله سبحانه وتعالى ، فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بدجله وضلاله ، ثم يأذن الله بالقضاء على فتنته فينزل عيسى عليه السلام فيقتله[2].

وعن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال : « **ما شأنكم ؟** » قلنا:يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال : « **غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف إنه خارج خَلَّةً – أي أنه يخرج قصدا وطريقا والتخلل الدخول الشيء – بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث**

(١) رواه البخاري (٣٧١/٦) الأنبياء ، ومسلم (٦٣،٦٢/١٨) الفتن .
(٢) الإيمان (٥٧) .

شمالا يا عباد الله فاثبتوا ، قلنا:يا رسول الله فما لبثه في الأرض ؟ قال : « **أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم** ؟ قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « **لا ، اقدروا له قدره** ، قلنا : يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال : « **كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُراً وأسبغه ضروعا وأَمَدَّه خواصر ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلا شابا ممتلئا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك بينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه** »[1]. الحديث .

فائدة : قال السفاريني رحمه الله : مما ينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال ، قال ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه

---

(١) رواه مسلم (١٨/ ٦٣ – ٦٨) الفتن وله بقية قوله : « **إنه شاب قطط** » أي شديد جعودة الشعر قوله : « **كيعاسيب النحل** » قال ابن قتيبة : هي ذكور النحل ، وقال القاضي : جماعة النحل . قوله : « **ثم يدعو رجلا** » نقل السفاريني عن القرطبي في تذكرته أن هذا الخضر عليه السلام وهو عجيب من القرطبي والسفاريني رحمهما الله فليس هناك دليل صحيح على حياة الخضر إلى هذه الأزمنة وقال بعضهم كذلك إن الرجل من أصحاب الكهف وهو عجيب أيضا واتباع للرأي وقد قال الله عز وجل في أصحاب الكهف : ﴿ **فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً** ﴾ (الكهف : ٢٢) فلا يحل لأحدٍ أن يدعي فيهم شيئا بغير دليل صحيح .

الفتن وكثرت فيه المحن واندرست فيه معالم السنن[1].

٣ - نزول عيسى بن مريم عليهما السلام :

ونزول عيسى عليه السلام من علامات الساعة العظمى وقد دل على ثبوت هذه العلامة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة :

أما الكتاب فقال الله تعالى : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ . (النساء : ١٥٩) ، أي ليؤمنن بعيسى قبل عيسى عليه السلام وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ، ملة إبراهيم حنيفا مسلما ، ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة وأن الضمير في موته لليهودي .

ومن أدلة الكتاب كذلك قوله عز وجل : ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا** ﴾ . (الزخرف : ٦١) .

وأما السنة : فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **وَالَّذِي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها** »[2].

ونقل في الإذاعة عن الشوكاني : بأن الأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم متواترة ، وقد ذكر الشوكاني منها تسعة وعشرين حديثا ما بين صحيح

---

(١) لوامع الأنوار (١٧/٢) .

(٢) رواه البخاري (٤١٤/٤) البيوع ، ومسلم (١٨٩/٢، ١٩٠) الإيمان وأبو داود (٤٣٠٢) الملاحم والترمذي (٧٦/٩، ٧٧) الفتن . وقال الحافظ : « **ويقتل الخنزير** » أي يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله ، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى ثم يستحلون أكل الخنزير ويبالغون في محبته .

وحسن وضعيف منجبر .

قال السفاريني : وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء ، وإن كانت النبوة قائمة وهو متصف بها وتقدم أن عيسى يصلي وراء المهدي صلاة الفجر[1].

قال البرزنجي في الإشاعة : بعد أن ذكر حديث جابر عند مسلم « **فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة** » قال : وعلى هذا فلا منافاة أن يكون المهدي أميرا حتى في زمن عيسى عليه السلام ، ويكون مراجعته في الأمور لعيسى عليه السلام للتبرك والتيمن به[2].

أما مدة لبثه عليه السلام في الأرض فقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي : كنت أفتي بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين قال واستمريت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت الإمام الحافظ البيهقي اعتمد أن مكثه في الأرض أربعين سنة ، معتمدا ما أفاده الإمام أحمد في روايته بلفظ ثم يمكث ابن مريم في الأرض بعد قتل الدجال أربعين سنة[3] .

---

(١) اللوامع (٢/٩٤،٩٥) .

(٢) نقلا عن اللوامع (٢/٩٦) ، ولا يدل صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي على فضل المهدي على عيسى بل عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل ولا شك أنه أفضل من المهدي وغيره ممن ليس بنبي فضلا عن أن يكون رسولا من أولي العزم من الرسل قال الطحاوي رحمه الله : « ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء عليهم السلام ونقول:نبي واحدٌ أفضل من جميع الأولياء » .

(٣) لوامع الأنوار (٢/٩٩) .

قال السفاريني : وهذا هو المرجح لأن زيادة الثقة يحتج بها ، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل ولما معها من زيادة العلم ، ولأنه مُثبِتٌ والمثبت مقدم[1].

فائدة : إنما سمى الدجال مسيحا لأن إحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها ، والأعور يسمى مسيحا كما في جامع الأصول ، وأما تسمية سيدنا عيسى بن مريم مسيحا فقيل: لمسح زكريا عليه السلام إياه ، وقيل: لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ .

فائدة ثانية : إذا قتل عيسى عليه السلام الدجال انهزم جنوده من اليهود ومن معهم ، فلا يبقى شيء يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء : يا عبد الله هذا يهودي – وفي لفظ : هذا دجال فتعال اقتله إلا الغرقد فإنها من شجر اليهود .

٤ - خروج يأجوج ومأجوج :

دل على وجود هذه العلامة الكتاب والسنة والإجماع :

أما الكتاب فقال تعالى : ﴿ **يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ** ﴾ . (الكهف : ٩٤) .

وقوله تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ** ﴾ . (الأنبياء : ٩٦) .

وأما السنة ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **إن الله يوحي إلى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه ماء ، ويحصرون عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من**

(١) لوامع الأنوار (٢/٩٩) .

مائة دينار »[1].

وروى الجماعة إلا أبا داود من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فزعا محمرا وجهه يقول : **« لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها قالت : قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث »**[2] .

وقد ذكر ابن عبد البر الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، أما عن إهلاكهم فقد روى مسلم عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : **« فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله تعالى طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا لايكون معه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرك وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفتها ، ويبارك في الرسل** – يعني اللبن – **حتى إن اللقمة من الإبل لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم** – يعني عيسى بن مريم وأصحابه – **كذلك** – أي في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم – **إذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس ، يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة »**[3].

---

(١) رواه مسلم (٦٨/١٨) الفتن ، وأبو داود (٤٢٩٩) بمعناه الملاحم مختصرا والترمذي (٩٤/٩) الفتن .

(٢) رواه البخاري (١٠٦/١٣) الفتن ، ومسلم (٣،٢/١٨) الفتن والترمذي (٣٥،٣٤/٩) الفتن .

(٣) تقدم تخريجه من حديث النواس بن سمعان من رواية مسلم .(ص : ٢٠٦) .

٥ - طلوع الشمس من مغربها :

قال الله عز وجل : ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُن آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْراً** ﴾ . (الأنعام : ١٥٨) .

قال السفاريني : أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنها طلوع الشمس من مغربها ، وقد خبط بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة ولبط ولم يهتد لمقصودها الذي عليه المحط ، وحاصل ذلك المقصود من الآية الكريمة أن من لم يكن إيمانه متحققا إذا طلعت الشمس من مغربها ، لم ينفعه تجديد الإيمان ولم ينفعه فعل بر من جميع الأعمال لأنه فقد الإيمان الذي هو الأساس لما عداه من تلك الأعمال[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها**»[2]وذكر الآية والراجح أن خروج الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها قال الحافظ ابن حجر العسقلاني وتبعه السخاوي : والحكمة في ذلك أن بطلوعها يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة .

وعن أبي هريرة مرفوعا : « **مَن تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه** »[3] .

٦ - دابة الأرض :

خروج الدابة ثابت بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا**

---

(١) لوامع الأنوار (١٣٨/٢) .

(٢) رواه البخاري (٣٥٢/١١) الرقاق ، ومسلم (١٩٤/٢) الإيمان ، وأبو داود (٤٢٩٠) الملاحم ، وابن ماجه (٣٢٨٧) الفتن .

(٣) رواه مسلم (٢٥/٧) الذكر والدعاء .

لَا يُوقِنُونَ ﴾ . (النمل : ٨٢) .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا منها** »[1] .

٧ – خروج نار من قعر عدن :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب** »[2]. الحديث ، والمقصود أنها أول العلامات التي لا يعقبها شيء من أشياء الدنيا ، ويقع بانتهائها النفخ في الصور[3].

---

(١) رواه مسلم (١٨/٧٧،٧٨) الفتن ، وأبو داود (٤٢٨٨) الملاحم قال ابن كثير : إن أول الآيات التي ليست مألوفة وإن كان الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام قبل ذلك وكذلك خروج يأجوج ومأجوج كل ذلك أمور مألوفة لأنهم بشر مشاهدتهم وأمثالهم مألوفة فإن خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف ومخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات وذلك أول الآيات الأرضية كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية – عون المعبود (١١/٤٢٥) .

(٢) رواه البخاري (٧/٢٧٢) مناقب الأنصار بمعناه ، ورواه تعليقا (١٣/٧٨) الفتن بلفظه . ورواه أبو داود وأحمد عن عبد الله بن عمر بمعناه .

(٣) من العلامات الكبرى كذلك الدخان قال الله عز وجل : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ . (الدخان : ١٠) ، ومنها : ريح طيبة تقبض روح كل مؤمن في قلبه مثقال حبة من إيمان ، ومنها : رفع القرآن من الصدور والسطور ، ومنها : تهدم الكعبة ، ومنها : تقارب الزمان – وإنما اقتصرنا على ما ذكر لقصد الاختصار .

٢ - البعــث :

مما ينبغي الإيمان به البعث والنشور بعد النفخة الثانية في الصور قال الله عز وجل : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ . (الزُّمَر : ٦٨) .

وقد أقام الله عز وجل البراهين العظيمة على بعث الناس من قبورهم أحياء إلى عرصات القيامة للحساب والجزاء قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ﴾ . الآية (الحج : ٥) .

قال العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي ما ملخصه :

براهين البعث الثلاثة التي يكثر الاستدلال بها :

الأول : خلق السماوات والأرض كقوله تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ . (النازعات : ٢٧) ، وقوله : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ العَلِيمُ ﴾ . (يس : ٨١) ، فالذي خلق السماوات والأرض قادر ولا شك على بعث الناس ، لأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس .

الثاني : خلق الإنسان أولا ؛ لأن من اخترع قادر على الإعادة ثانيا ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَه قَالَ مَن يُحْيِى العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خلقٍ عَلِيم ﴾ . (يس:٧٨،٧٩).

الثالث : إحياء الأرض بعد موتها والاستدلال بذلك على إحياء الناس بعد موتهم كما قال تعالى : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الخُرُوج ﴾ . (ق : ١١) ، وقوله : ﴿ وَتَرى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (الحج : ٥، ٦) .

قال وهناك برهان رابع يكثر الاستدلال به على البعث أيضا وهو إحياء الله بعض الموتى في دار الدنيا ، وقد ذكر جل وعلا هذا البرهان في سورة البقرة في خمسة مواضع :

الأول : قوله : ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ . (البقرة : ٥٦) .

الثاني : قوله : ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ . (البقرة : ٧٣) .

الثالث : ﴿ **فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ** ﴾ . (البقرة : ٢٤٣) .

الرابع : قوله : ﴿ **فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّه وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ** ﴾ . (البقرة : ٢٥٩) .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ **فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُن جُزْءاً ثُمّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ** ﴾ . (البقرة : ٢٦٠)[١] .

٣ - الحســاب :

ومما يجب الإيمان به أن الناس سوف يحاسبون يوم القيامة ، حتى ينال المحسن جزاء إحسانه ، والمسيء جزاء إساءته ، وهو مقتضى العدل الإلهي قال الله عز وجل : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَايَحْكُمُونَ ، وَخَلَقَ اللهُ**

---

(١) أضواء البيان (٣/٢٠٣،٢٠٤) .

السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ بِالحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .
(الجاثية : ٢١، ٢٢) .

عن عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قَدَّمَ من عمله ، وينظر أشْأَمَ منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة** »[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيْراً ﴾** ؟ (الإنشقاق : ٧ ، ٨) .

فقال : « **إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلَّا عذب** »[2].

٤ – الميـزان :

ويجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أن أعمال العباد توزن يوم القيامة بميزان الحق والعدل قال تعالى : **﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾** . (الأنبياء : ٤٧) .

وهو ميزان حقيقي وله كفتان .

---

(١) رواه البخاري : (١١/٤٠٠) الرقاق ، ومسلم (٧/١٠١) الزكاة ، والترمذي (٩/٢٥٢) صفة القيامة والبغوي في شرح السنة (١٦٣٨) الزكاة .

(٢) رواه البخاري (١/١٩٧) العلم ، ومسلم (١٧/٢٠٨) الجنة ، وأبو داود (٣٠٧٧) الجنائز ، والترمذي (٩/٢٥٨) صفة القيامة .

قال ابن القيم في الشافية الكافية :

أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ العِبَا ... د تُحَطُّ يَوْمَ العَرْضِ فِي المِيْزَانِ
وَكَذَلِكَ تَثْقُلُ تَارَةً وَتَخِفُّ أُخْـ ... رَى ذَاكَ فِي القُرْآنِ ذُو تِبْيَانِ
ولَـهُ لِسَانٌ كَفَّتَـانِ تُقِيْمُـهُ ... وَالكَفَّتَـانِ إِلَيْـهِ نَاظِرَتَـانِ
مَا ذَاكَ أَمْراً مَعْنَوِياً بَلْ هُوَ الـ ... مَحْسُوسُ حَقاً عِنْدَ ذِي الإِيْمَانِ

٥ - الصــراط :

ومما يجب الإيمان به من أمور يوم القيامة الصراط الذي ينصبه الله عز وجل فوق جهنم موصلا إلى جنته ، فمن خف عليه ونجا دخل الجنة ، ومن تعثر عليه هلك ووقع في النار وبئس القرار عياذا بالله من حال أهل البوار .

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **وَيضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السَّعْدَانِ هل رأيتم السعدان** ؟ قالوا نعم يا رسول الله ، قال : « **فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناسَ بأعمالهم فمنهم المُوبَقُ بعمله ومنهم المخردل** »[1] .

---

(١) رواه البخاري (١١/٤٤٥) الرقاق .

د - الجنة والنار

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار ، ونحن لا نستفيض في وصف الجنة والنار ، وإن كان الإيمان بكل ما ثبت من صفتهما واجب على كل مسلم ، ولكن يمكن الرجوع إلى كتب الرقائق .

ونحصر البحث هنا في أمور :

الأول : كونهما حقا لا ريب فيهما ولا شك ، والنار دار أعداء الله، والجنة دار أولياء الله .

قال تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أنَّ لَهُمْ جَناتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ . (البقرة : ٢٤،٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذِيْنَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأنُّوا بِهَا وَالَّذِيْنَ هُمْ عَن آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ إنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيْهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيْمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اَللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين** ﴾ .

(يونس : ٧ - ١٠) .

وعن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من شهد أن لا إله الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** »[(١)].

---

(١) تقدم تخريجه (ص : ٩٩)

الثاني : اعتقاد وجودهما الآن كما قال تعالى عن الجنة : ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ . (آل عمران : ١٣٣) ، وقال : ﴿ **أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ . (الحديد : ٢١) ، وأخبر عن مكانها فقال : ﴿ **عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى** ﴾ . (النجم : ١٤ ، ١٥) ، وقال : ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾ . (الذاريات:٢٢)، فالجنة فوق السماء السابعة سقفها عرش الرحمن، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وسقفه عرش الرحمن** » . وقال عز وجل عن النار : ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ . (البقرة : ٢٤) .

وقال تعالى : ﴿ **وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً** ﴾ . (الفرقان : ١١) .

وقال عز وجل : ﴿ **وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً** ﴾ . (الإنسان : ٣١) .

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضا ، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير** »[1].

الثالث : في دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما ، وأنهما لا تفنيان أبدا ، ولا يفنى من فيهما قال الله تعالى : ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ . (التوبة : ١٠٠) .

وقال تعالى : ﴿ **لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ . (الحجر : ٤٨) . هذا في حق الجنة وأهلها .

وقال تعالى مخبرا عن النار وأهلها : ﴿ **إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيْراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِياً وَلَا نَصِيراً** ﴾ . (الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥) . وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾ .

---

(١) رواه البخاري (٣٣٠/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١١٩/٥) المساجد ، والترمذي (٦٠/١٠) صفة جهنم ، وأحمد (٢٣٨/٢) .

(الجن : ٢٣) ، وقال عز وجل : ﴿ **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾ .
(البقرة : ١٦٧) .

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ، ثم ينادي : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون . فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون:نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ، ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ :** ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ** ﴾ . (مريم : ٣٩) . وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لايؤمنون »[١] .

الرابع : يجب أن نعتقد أن عصاة الموحدين تمسهم النار بقدر جنايتهم ، ثم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين وهم يسكنون الطبقة العليا من النار التي لا يبقى فيها أحد من الموحدين ، وأنهم يخرجون منها ويدخلون جنة الله عز وجل ، ويأتي عليها يوم وهي تصفق أبوابها ليس بها أحد ، وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ . خلافا لمن استدل بها على فناء النار .

قال ابن القيم رحمه الله :

ولما كان الناس ثلاث طبقات : طيب لا يشوبه خبث ، وخبيث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب – كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض – وهاتان الداران لا تفنيان ، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى ، وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض[٢] .

---

(١) رواه البخاري (٤١٥/١١) الرقاق ، ومسلم (١٨٤/١٨،١٨٥) صفة الجنة .
(٢) الوابل الصيب (١١) .

الإيمـان بالقضـاء والقـدر [1]

ما أجمل ما نفتتح به الكلام عن عقيدة القضاء والقدر بقول أبي المظفر بن السمعاني : سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل ، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب ، لأن القدرَ سِرٌّ من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به ، وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم ، لما علمه من الحكمة ، فلم يعلمه نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرب ، وقيل : إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف لهم قبل دخولها[2].

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ . (القمر : ٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً** ﴾ . (الأحزاب : ٣٨) .

وقال تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَه** ﴾ . (التغابن : ١١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في القدر فنزلت : ﴿ **يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرْ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر** ﴾ (القمر : ٤٨،٤٩)[3].

---

(١) انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ومعارج القبول لحافظ بن أحمد – وشرح الطحاوية – ونبذة في العقيدة .

(٢) فتح الباري : (٤٧٧/١١) .

(٣) رواه مسلم (٢٠٥/١٦) القدر والترمذي (٣٢١/٨) القدر،وابن ماجه (٦٨) المقدمة .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستخرج صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها** »[1].

وله عنه رضي الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا يأتي ابن آدم النذرُ بشيء لم يكن قد قدرته ، ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له استخرج به من البخيل** »[2].

ولمسلم عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان** »[3]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **وَاعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك** »[4].

وروى أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت قال : حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت : يا أبتاه أوصني واجتهد

---

(١) رواه البخاري (٤٩٤/١١) القدر ، ومسلم (١٦١/١٠) البيوع، والنسائي (٢٥٨/٧) البيوع .

(٢) رواه البخاري (٤٩٩/١١) القدر ، ومسلم (٩٩/١١) الأيمان والنذور بمعناه وأبو داود (٣٢٦٤) الأيمان والنذور .

(٣) رواه مسلم (٢١٥/١٦) القدر وابن ماجه (٦٤) المقدمة .

(٤) رواه أحمد (٢٩٣/١) ، والترمذي (٣١٩/٩، ٣٢٠) صفة القيامة وقال ابن رجب : روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة وطريق حنش التي رواها الترمذي عن ابن عباس حسنة جيدة – جامع العلوم (١٧٤) وقال الألباني : حديث صحيح وإسناده واهٍ جدا ، قال:وإنما حكمت عليه بالصحة للطرق الآتية ثم ساقها – ظلال الجنة (٣١٥، ٣١٦) .

لي ، فقال : أجلسوني فلما أجلسوه قال : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ، قال:تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **إن أول ما خلق الله تعالى القلم ، ثم قال : اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة** » يا بني إن مِتَّ ولست على ذلك دخلت النار[1].

مراتب القضاء والقدر

وهي أربع مراتب من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر :

المرتبة الأولى :علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة : مشيئته لها .

المرتبة الرابعة : خلقه لها .

(١) رواه أبو داود (٤٦٧٥) السنة ، والترمذي (٣١٩/٨، ٣٢٠) القدر، وأحمد (٣١٧/٥) وقال الترمذي : وهذا حديث غريب من هذا الوجه وصححه الألباني .

المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله عز وجل السابق

قال الله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ منِ اتَّخذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ الله عَلَى عِلْمٍ** ﴾ . (الجاثية : ٢٣) .

قال ابن عباس : عَلِمَ مَا يكون قبل أن يخلقه .

قال أبو الفرج بن الجوزي : على علمه السابق فيه أنه لا يهتدي .

قال ابن القيم : أضله الله عالما به وبأقواله وما يناسبه ويليق به ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبعده ، وأنه أهل للضلال وليس أهلا أن يهدي وأنه لو هدى لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند من لا يستحقه ، فالرب تعالى حكيم إنما يضع الأشياء في محالها اللائقة بها ، فانتظمت الآية على هذا القول في إثبات القدر والحكمة التي لأجلها قدر عليه الضلالة ، وذكر العلم إذ هو الكاشف المبين لحقائق الأمور ووضع الشيء في مواضعه ، وإعطاء الخير من يستحقه ومنعه من لا يستحقه ، فإن هذا لا يحصل بدون العلم ، فهو سبحانه أضله على علمه بأحواله التي تناسب ضلاله وتقتضيه وتستدعيه ، وهو سبحانه كثيرا ما يذكر ذلك مع إخباره بأنه أضل الكافر كما قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ الله أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقَاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ في السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ الله الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ . (الأنعام : ١٢٥) .

وقال تعالى : ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِيْنَ** ﴾ . (البقرة : ٢٦) .

وقال تعالى : ﴿ **وَالله لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ . (آل عمران : ٨٦) .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الله لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار** ﴾ . (الزمر : ٣) .

وقال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ يُضِلُّ الله مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَاب** ﴾ . (غافر : ٣٤) .

وقال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ .
(غافر : ٣٥) .

وقال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ . (الأنعام : ٥٣) .

أي ابتلينا واختبرنا بعضهم ببعض فابتلى الضعفاء والسادة بالأتباع والموالي والضعفاء ، فإذا نظر الرئيس والمطاع إلى المولى والضعيف أنفه وأنف أن يسلم وقال هذا يمن الله عليه بالهدى والسعادة دوني قال الله تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِيْنَ** ﴾ . (الأنعام : ٥٣) .

وهم الذين يعرفون النعمة وقدرها ويشكرون الله عليها بالاعتراف بالذل والخضوع والعبودية ، فلو كانت قلوبكم مثل قلوبهم تعرفون قدر نعمتي وتشكرونني عليها وتذكرونني بها وتخضعون لي كخضوعهم وتحبونني كحبهم لمننت عليكم كما مننت عليهم ، ولكن لمننى ونعمي محال لا تليق إلا بها ولا تحسن إلا عندها ، ولهذا يقرن كثيرا بين التخصيص والعلم كقوله ههنا : ﴿ **أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ . وقوله : ﴿ **وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا : لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ ، اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه** ﴾ . (الأنعام : ١٢٤) .

وقوله : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَاكَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ، وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَايُعْلِنُونَ** ﴾ . (القصص : ٦٨،٦٩) ، أي سبحانه المتفرد بالخلق ، وهو الاصطفاء والاجتباء

ولهذا كان الوقف التام عند (ويختار)، ثم نفى عنهم الاختيار الذي اقترحوه بإرادتهم ، وأن ذلك ليس إليهم بل إلى الخلاق العليم الذي أعلم بمحال الاختيار لا من قال : ﴿ **لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِن الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ . (الزخرف : ٣١) ، فأخبر سبحانه أنه لا يبعث الرسل باختيارهم وأن البشر ليس لهم أن يختاروا على الله ، بل هو الذي يخلق ما يشاء ويختار ، ثم نفى سبحانه أن تكون لهم الخيرة كما نفى لهم الخلق .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ . (الدخان : ٣٢) ، لا خلاف بين الناس أن المعنى على علم منا بأنهم أهل الاختيار ، فالجملة في موضع نصب على الحال أي اخترناهم عالمين بهم وبأحوالهم وما يقتضي اختيارهم من قبل خلقهم ، فذكر سبحانه اختيارهم وحكمته في اختياره إياهم ، وذكر علمه الدال على مواضع حكمته واختياره ، ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إبراهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِين** ﴾ . (الأنبياء : ٥١) ، وهو سبحانه كما هو العليم الحكيم في اختياره من يختار من خلقه وإضلاله من يضله منهم ، فهو العليم الحكيم بما في أمره وشرعه من العواقب الحميدة والغايات العظيمة ، قال تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ . (البقرة : ٢١٦) .

بَيَّن سبحانه أن ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصلحة والمنفعة لهم التي اقتضت أن يختاره ويأمره به ، وهم قد يكرهونه إما لعدم العلم وإما لنفور الطبع ، فهذا علمه بما في عواقب أمره مما لا يعلمونه ، وذلك علمه بما في اختياره من خلقه بما لا يعلمونه ، فهذه الآية تضمنت الحض على التزام أمر الله وإن شق على النفوس وعلى الرضا بقضائه وإن كرهته النفوس .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لَا أُبالِي أصبحت على ما أحب أو على

ما أكره ؛ لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره .

وقال الحسن : لا تكرهوا النقمات الواقعة والبلايا الحادثة فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثره فيه عطبك .

والله سبحانه وتعالى قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم وما هم عاملون ، وما هم إليه صائرون ، ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه ، وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومة فاستحقوا المدح والذم ، والثواب والعقاب بما قاموا به من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق و لم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل أن يعلموها ، فأرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه إعذارا إليهم وإقامة للحجة عليهم لئلا يقولوا كيف تعاقبنا على علمك فينا وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا ، فلما أظهر علمه فيهم بأفعالهم جعل العقاب على معلومه الذي أظهره الابتلاء والاختبار ، وكما ابتلاهم بأمره ونهيه ، ابتلاهم بما زين لهم في الدنيا وبما رَكَّبَ فيهم من الشهوات ، فذلك ابتلاء بشرعه وأمره ، وهذا ابتلاء بقضائه وقدره . قال تعالى : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ . (الكهف : ٧) .

وقال تعالى : ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ . (الأنبياء : ٣٥) ، وقال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً** ﴾ . (الفرقان : ٢٠) .

المرتبة الثانية : الإيمان بكتابة الله سبحانه المقادير

ويدخل فيه خمسة تقادير :

(١) التقدير الأزلي .

(٢) كتابة الميثاق وتقدير شقاوة العباد وسعادتهم .

(٣) التقدير العمري .

(٤) التقدير الحولي في ليلة القدر .

(٥) التقدير اليومي .

وسوف نبين ذلك بشيء من التفصيل :

١ - التقدير الأزلي :

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ . (الأنبياء : ١٠٥) .

فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود ، والذكر أم الكتاب الذي عند الله تعالى ، والأرض الدنيا وعباده الصالحون أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، هذا أصح الأقوال في هذه الآية .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾ . (يس : ١٢) .

فجمع بين الكتابين الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم والكتاب المقارن لأعمالهم ، فأخبر أنه يحييهم بعد ما أماتهم بالبعث ، ويجازيهم بأعمالهم ونبه بكتابته لها على ذلك فقال : ونكتب ما قدموا من خير أو شر فعلوه في حياتهم ، وآثارهم ما سنوا من سنة خير أو شر فاقتدى بهم فيها بعد موتهم ، والمقصود أن قوله :

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ . (يس : ١٢) ، هو اللوح المحفوظ ، وهو أم الكتاب ، وهو الذكر الذي كتب فيه كل شيء ، وهو يتضمن كتابة الأعمال قبل أن يعملوها ، والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظه لها ، والإحاطة بعددها وإثباتها فيه .

وقال تعالى : ﴿ وَمَامِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . (الأنعام : ٣٨) ، قالت طائفة : المراد به القرآن ، وهذا من العام المراد به الخاص ، أي ما فرطنا فيه من شيء يحتاجون إلى ذكره وبيانه كقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ . وقالت طائفة : المراد بالكتاب في الآية اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء .

وقال تعالى : ﴿ حمٓ وَالْكِتَابِ المُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيْمٌ ﴾ . (الزخرف : ١ - ٤) ، وأم الكتاب هو أصل الكتاب والقرآن كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السمٰوات والأرض كما قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيْدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ . (البروج : ٢١ ، ٢٢) .

وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب ، وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله ، فكتب في اللوح المحفوظ أفعاله وكلامه ، فتبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب ، وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَو كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ ﴾ . (الأعراف : ٣٧) ، قال سعيد بن جبير ومجاهد وعطية : أي ما سبق لهم في الكتاب من الشقاوة والسعادة ثم قرأ عطية : ﴿ فَرِيْقاً هَدَى وَفَرِيْقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ . (الأعراف : ٣٠) ، والمعنى أن هؤلاء أدركهم ما كتب لهم من الشقاوة .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **كَتَبَ الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة** »[1].

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال:اكتب ما سيكون إلى يوم القيامة** »[2].

٢ – تقدير شقاوة العباد وسعادتهم وأخذ الميثاق .

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا : إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ . (الأعراف : ١٧٢ – ١٧٤) .

عن عمران بن حصين قال : قيل يا رسول الله أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : « **نعم** » . قال : ففيم يعمل العاملون . قال : « **كل ميسر لما خلق له** »[3].

وعن الأسود الدؤلي قال : قال لي عمران بن حصين:أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيءٌ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت به الحجة عليهم؟، فقلت : بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم . قال : فقال : أفلا يكون ظلما ؟ قال : ففزعت من ذلك فزعا شديدا ، وقلت : كل شيء خلق الله وملك يده فلا يُسأل عما يفعل وهم يسألون . قال : فقال لي يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا حزر عقلك ،

(١) رواه مسلم (٢٠٣/١٦) القدر ، والترمذي (٣٢١/٨) القدر .
(٢) تقدم تخريجه ص ٤٥ ، ٢٢١ .
(٣) رواه البخاري (٤٩١/١١) القدر ، ومسلم (١٩٨/١٦) القدر .

إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالا : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ، فقال : **بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم ، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾** .
(الشمس : ٧،٨)[1].

وعن عبد الله بن عمرو قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي يده كتابان فقال : « **هل تدرون ما هذان الكتابان؟**» قال : قلنا : لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله . قال للذي في يده اليمنى : « **هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل عليهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص أبدا** » . ثم قال للذي في يساره : « **هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا** » . فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:فلأي شيء نعمل إن كان هذا أمرا قد فرغ منه؟، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وإن عمل أي عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل النار وإن عمل أي عمل ثم قال بيده فقبضها ثم قال : فرغ ربكم عز وجل من العباد ، ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال : فريق في الجنة ونبذ باليسرى فقال : فريق في السعير** »[2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر ،**

---

(١) رواه مسلم (١٦/١٩٨ ، ١٩٩) القدر .

(٢) رواه الترمذي (٨/٣٠٨ــ٣١٠) القدر ، وأحمد (٢/١٦٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (٣٤٨) ، وأبو نعيم في الحلية (٥/١٦٨) وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب وقال الألباني : حسن .

وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي ، وقال للذي في كفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي »[1].

فقد توافرت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الله عز وجل وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة خلق للجنة أهلها وخلق للنار أهلها ، والعباد كلهم ملك لله عز وجل ، فيجب الإيمان بذلك واعتقاده مع الاعتقاد أيضا بأن الله عز وجل أحكم الحاكمين وأعدل العادلين لا يظلم مثقال ذرة وليس علينا إلا التسليم .

قال الطحاوي رحمه الله تعالى : « ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام فمن رام ما حظر عنه علمه ، و لم يقنع بالتسليم فَهْمُه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان » ، وقال أيضا : « وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان ، فالحذر كُلُّ الحَذَر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسةً ، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه : ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ . (الأنبياء : ٢٣) ، فمن سأل لِمَ فعل رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين » .

---

(١) رواه أحمد (٤٤١/٦) وابنه في زوائد المسند ، وابن عساكر في تاريخ « دمشق » (ج١٥/١٣٦/١) وقال الألباني:وإسناده صحيح – الصحيحة (٤٩) ، قال الألباني حفظه الله في التعليق : قد يتوهم آخرون أن الأمر فوضى أوحظ فمن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة ومن كان في القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة ، فيجب أن يعلم هؤلاء جميعا أن الله ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ لا في ذاته ولا في صفاته ، فإذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته ، **فهو تعالى قبض** باليمنى على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته ، وقبض **بالأخرى على من سبق في** علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته ، ويستحيل على عدل **الله** تعالى **أن** يقبض باليمنى على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى والعكس بالعكس كيف والله عز وجل يقول : ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون** ﴾ .

وقال أيضا : « فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيما ، وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما ، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرا كتيما ، وعاد بما قال فيه أفاكا أثيما » .

وقد زل في هذا الباب خلق كثيرون لأنهم أساءوا الظن بالله عز وجل ، وأحسنوا الظن بأنفسهم ، وكان الواجب عليهم إحسان الظن بالله عز وجل وتنزيهه عن الظلم والعبث ، فالله عز وجل يتصرف في خلقه كيف شاء ، وهذا من تمام ربوبيته ، وتصرفه هذا عن علم تام وحكمة بالغة ، وهذا مقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، قال تعالى : ﴿ **مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ . (هود : ٥٦) .

٣ – التقدير العمري .

وهو تقدير شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وهم في بطون أمهاتهم .

عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو الصادق المصدوق : « **إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه المَلَك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** »[1].

وعن أنس بن مالك رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧/١١) القدر ، ومسلم (١٩٠/١٦ – ١٩٢) القدر واللفظ له ورواه الترمذي كذلك (٣٠١/٨، ٣٠٢) القدر .

« **وَكَّلَ الله تعالى بالرحم مَلَكاً فيقول : أي ربِّ نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال : أي رب ذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه** »[1].

وعن عامر بن واثلة أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول : الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره ، فأتى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقال له:حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود قال:وكيف يشقى رجل بغير عمل؟فقال له الرجل : أتعجب من ذلك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكها فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ، ثم قال : يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزاد على ما أمر ولا ينقص** »[2].

٤ – التقدير الحولي في ليلة القدر .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **حمٓ ، وَالكِتَابِ المُبِين ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْراً مِّن عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** ﴾ . (الدخان : ١ – ٥) .

قال مجاهد : ليلة القدر ليلة الحكم .

وقال سعيد بن جبير : يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ، فلا يغادر منهم أحدا ، ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم .

وقال الحسن البصري : والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها لليلة القدر ، يفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها .

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧/١١) القدر ، ومسلم (١٩٥/١٦) القدر .
(٢) رواه مسلم (١٩٣/١٦،١٩٤) القدر .

وقال ابن عباس : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر ، حتى الحجاج يقال:ويحج فلان ويحج فلان .

وعن سعيد بن جبير قال : إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى .

٥ - التقدير اليومي .

وهو سوق المقادير إلى مواقيتها التي قدرت لهم فيما سبق قال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ . (الرحمن : ٢٩) ، قال الأعمش: عن مجاهد عن عبيد بن عمير : من شأنه أن يجيب داعيا ، أو يعطي سائلا ، أو يفك عانيا ، أو يشفي سقيما .

وقال قتادة : لا يستغني عنه أهل السموات والأرض يحيى حيا ، ويميت ميتا ، ويربي صغيرا ، ويفك أسيرا ، وهو منتهى حاجات الصالحين ومنتهى شكواهم .

وذكر البغوي رحمه الله تعالى قول المفسرين : من شأنه أن يحيي ويميت ، ويخلق ويرزق ، ويعز ويذل قوما ، ويشفي مريضا ، ويفك عانيا ، ويفرج مكروبا ، ويجيب داعيا ، ويعطي سائلا ، ويغفر ذنبا ، إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء .

وجملة القول في ذلك:أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه في الوقت الذي سبق أنه يناله فيه لا يتقدمه ولا يتأخره كما أن في الآخرة يأتي تأويل الجزاء الموعود إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون .

المرتبة الثالثة : الإيمان بمشيئة الله النافذة

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه ، وأدلة الوجود والعيان ، وليس في الوجود موجب ومقتضى إلا مشيئة الله وحده ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وهذا عمود التوحيد الذي لا يقوم إلا به ، والمسلمون من أوَّلِهِمْ إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وإن كان منهم في موضع آخر ، فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله ، وأن يشاء ما لا يكون ، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفى مشيئة الله بالكلية .

قال الطحاوي رحمه الله : « وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن .

يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا ، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله ، وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده . قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ الله ما اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِن بَعْدِ مَاجَاءَتْهُمْ البَيِّنَاتُ وَلَكِن اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ الله مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ . (البقرة : ٢٥٣) .

وقال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾ . (آل عمران : ٤٠) .

وقال : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً** ﴾ .
(يونس : ٩٩) .

وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى ﴾ . (الأنعام : ٣٥) .

وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ الله لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ . (محمد : ٤) .

والآيات كثيرة جداً في إثبات مشيئة الله عز وجل ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والذين نفوا مشيئة الله عز وجل هم القدرية مجوس هذه الأمة ، فإنهم آمنوا بالأسباب ومشيئة العباد وكفروا برب الأرباب ورب الأسباب ، ومقابل بدعتهم من نفى مشيئة العباد ، وجعل العبد مجبورا على أفعاله وأقواله حتى قال قائلهم :

أَلْقَاهُ فِي اليَمِّ مَكْتُوفَ اليَدَيْنِ وَقَالَ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالمَاءِ

والذي عليه أهل السنة والجماعة وما مضى عليه سلفنا الصالح إثبات مشيئة الله عز وجل النافذة وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن للعباد كذلك قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة ، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم ، وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها ، وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وبحسبها كلفوا ، وعليها يثابون ويعاقبون ، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ، ولم يحملهم إلا طاقتهم قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَة فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّه سَبِيْلاً ، وَمَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله إِنَّ الله كَانَ عَلِيْماً حَكِيْماً** ﴾ . (الإنسان : ٢٩ ، ٣٠) .

وقال تعالى : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيم وَمَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّ العَالَمِينَ** ﴾ . (التكوير : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) .

المرتبة الرابعة : الإيمان بأن الله عز وجل خالق أعمال العباد

وهذا متفق عليه بين الرسل صلى الله عليهم وسلم ، وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار ، وخالف في ذلك مجوس الأمة فأخرجوا طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين وهي أشرف ما في العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته ، بل جعلوهم هم الخالقين ، ولا تعلق لهم بمشيئته ولا تدخل تحت قدرته ، وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية .

قال الله تعالى : ﴿ **الله خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ** ﴾ . (الزمر : ٦٢) .

وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته ، وليس مخصوصا بذاته وصفاته ، فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له ، ومما يدل على قدرته سبحانه على أفعالهم قوله : ﴿ **وَالله عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ** ﴾ . (البقرة : ٢٨٤) ، واعتراض القدرية على الاستدلال بذلك والجواب عنه نظير الاعتراض على قوله : ﴿ **الله خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ** ﴾ . وجوابه ونزيده تقريرا أن أفعالهم أشياء ممكنة والله قادر على كل ممكن ، فهو الذي جعلهم قادرين بقدرته ومشيئته ، ولو شاء لحال بينهم وبين الفعل مع سلامة آلة الفعل ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ الله ما اقْتَتَلَ الَّذِيْنَ مِن بَعْدِهِمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ البَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ الله مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ . (البقرة : ٢٥٣) .

ومما يدل على أن الله عز وجل هو خالق أفعال العباد قوله عز وجل : ﴿ **وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى** ﴾ . (النجم : ٤٣) ، والضحك والبكاء فعلان اختياريان ، فهو سبحانه المضحك المبكي حقيقة ، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة .

فصل في بيان الأمر الكوني والأمر الشرعي :

هناك أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له ، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تَعْرِضُ لمن لم يحط به علما ، وهو أن الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر ، وأمره سبحانه وتعالى نوعان : أمر كوني قدري ، وأمر ديني شرعي ، فمشيئته سبحانه وتعالى متعلقة بخلقه وأمره الكوني ، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكره كله داخل تحت مشيئته كما خلق إبليس وهو يبغضه ، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها ، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله ، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله ، فما وجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني ولم تتعلق به مشيئته ، وما وجد من الكفر والفسوق والعصيان تعلقت به مشيئته ولم يتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني ، وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته ، فلفظ المشيئة كوني ، ولفظ المحبة ديني شرعي ، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة ، وإرادة دينية فتكون هي المحبة ، إذا عرفت هذا فقوله : ﴿ **وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ** ﴾ . (الزمر : ٧) .

وقوله : ﴿ **لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ** ﴾ . (البقرة : ٢٠٥) .

وقوله : ﴿ **وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ** ﴾ . (البقرة : ١٨٥) . لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره ، فإن المحبة غير المشيئة ، والأمر غير الخلق : ونظير هذا اللفظ الأمر فإنه نوعان : أمر تكوين ، وأمر تشريع ، والثاني : قد يعصى ويخالف بخلاف الأول .

فقوله : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ . (يس : ٨٢) .

أمر كوني لا يناقض قوله : ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ** ﴾ . (الأعراف : ٢٨).

فالأول تكوين والثاني تشريع[1] .

---

(١) وقد ذكر بعض العلماء أن في قوله عز وجل ﴿**وإذا أَرَدْنا أن نُهلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفيها فَفَسَقوا فِيْهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْميراً**﴾ [الإسراء : ١٦] أمر تكوين ، وأوضح الشنقيطى رحمه الله في الأضواء فساد هذا الرأى لأن الله عز وجل لا يأمر بالفحشاء وإنما هو أمر تشريع أى يأمرهم بطاعته وترك معاصيه فيخالفون أمره ويرتكبون ما نهى الله عنه فيستحقون بذلك العذاب .

فصل في بيان أن الإيمان بالقدر وامتثال الشرع واجبان لا ينفك أحدهما عن الآخر

الإيمان بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع محاربة لله عز وجل ومخاصمة له في أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه ، وطعن في حكمته وعدله وانتقاد عليه في إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وخلق الجنة لأوليائه المصدقين بها ، وخلق النار لأعدائه المكذبين ونسبة ذلك لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين الحكيم في خلقه وشرعه العدل في قوله وفعله وحكمه إلى العبث والظلم في ذلك كله ، وكذلك الانقياد في الشرع مع نفي القدر وإخراج أفعال العباد عن قدرة الباريء وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن في ربوبية المعبود وملكوته ، ونسبته إلى العجز ووصفه بما لا يستحق الألوهية ولا يتصف بها مما لا يبدي ولا يعيد ولا يغني عنك شيئا ، تعالى ربنا وتقدس وتنزه وجل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علوا كبيرا ، بل الإيمان بالقدر خيره وشره هو نظام التوحيد ، كما أن الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ، ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع ، كما قرر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له : أفَلَا نتكل على كتابنا وندع العملَ . قال : « **لا ؛ اعملوا فكل ميسر لما خلق له** »[1]، فمن نفى القدر وزعم منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته ومعاني ربوبيته ، وجعل العبد مستقلا بأفعاله خالقا لها فأثبت خالقا آخر مع الله تعالى ، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون مع الله عز وجل .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢٨ .

فصل في بيان أن الإيمان بالقدر السابق لا يوجب الاتكال بل يوجب الجد والاجتهاد

اتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال ، بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح ، ولهذا لما أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف الأقلام بها فقيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : « **لا اعملوا فكل ميسر** » . ثم قرأ : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾ . (الليل : ٥ - ١٠) .

فالله سبحانه وتعالى قدر المقادير وهيأ لها أسبابا ، وهو الحكيم بما نَصَبَهُ من الأسباب في المعاش والمعاد ، وقد يسر كلا من خلقه لما خلق له في الدنيا والآخرة ، فهو مهيأ له ميسر له ، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها ، كان أشد اجتهادا في فعلها والقيام بها أعظم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سببا في وجود الزرع ، والنكاح سببا في وجود النسل ، وكذلك العمل الصالح سببا في دخول الجنة ، والعمل السيىء سببا في دخول النار . وقد فقه هذا كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر: ما كنت بأشد اجتهادا مني الآن .

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ، وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل** »[1].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢٠ .

وفي المسند والترمذي وابن ماجه من حديث الزهري عن ابن أبي خذامة عن أبيه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : أرأيت رقى نسترقيها ، ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : « **هي من قدر الله** ، يعني أن الله تبارك وتعالى قدر الخير والشر وأسباب كل منها .

قال الشيخ العثيمين حفظه الله : إن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر وقال : لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله لم يقبل حجته ، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى .

ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع فأمر بقطع يده فقال : مهلا يا أمير المؤمنين فإنما سرقت بقدر الله فقال عمر : ونحن إنما نقطع بقدر الله[1].

فصل في احتجاج آدم وموسى :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . فقال له آدم : أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن أخلق بأربعين سنة** . فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **فحج آدمُ موسى فحج آدم موسى** »[2].

قال ابن القيم رحمه الله ما ملخصه : رد هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة كأبي علي الجُبَّائي ومن وافقه على ذلك وقال : لو صح لبطلت

---

(١) رسائل في العقيدة

(٢) رواه البخارى (١١/٥٠٥) العذر ، ومسلم (١٦/٢٠٢) القدر وأبو داود (٤٦٧٦) السنه ، والترمذى (٨/٢٩٨) القدر .

نبوات الأنبياء ، فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي ، فإن العاصي بترك الأمر أو فعل النهي إن صحت له الحجة بالقدر السابق ارتفع اللوم عنه ، وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته فإن هذا حديث صحيح متفق على صحته ، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرنا بعد قرن ، وتقابله بالتصديق والتسليم ، ورواه أهل السنن في كتبهم وشهدوا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قاله ، وحكموا بصحته فما لأجهل الناس بالسنة ومن عرف بعداوتها وعداوة حملتها والشهادة عليهم بأنهم مجسمة ومشبهة وهذا الشأن .

ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة ، كما ردوا أحاديث الرؤية وأحاديث علو الله على خلقه ، وأحاديث صفاته القائمة به ، وأحاديث الشفاعة وأحاديث نزوله إلى السماء الدنيا ، ونزوله إلى الأرض للفصل بين عباده ، وأحاديث تكلمه بالوحي كلاما يسمعه من شاء من خلقه حقيقة إلى أمثال ذلك .

وكما ردت الخوارج والمعتزلة أحاديث خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وغيرها ، وكما ردت الرافضة أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ، وكما ردت المعطلة أحاديث الصفات والأفعال الاختيارية ، وكما ردت القدرية المجوسية أحاديث القدر السابق ، وكل من أصل أصلا لم يؤصله الله ورسوله قاده قسراً إلى رد السنة وتحريفها عن مواضعها ؛ فلذلك لم يؤصل حزب الله ورسوله أصلا غير ما جاء به الرسول ، فهو أصلهم الذي عليهم يعولون ، وجنتهم التي إليها يرجعون .

ثم اختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجهة الحجة التي توجهت لآدم على موسى فقالت فرقة:إنما حجه لأن آدم أبوه فحجه كما يحج الرجل ابنه ، وهذا الكلام لا محصل فيه البتة ، فإن حجة الله يجب المصير إليها مع الأب كانت أو الابن

أو العبد أو السيد ، ولو حج الرجل أباه بحق وجب المصير إلى الحجة .

وقالت فرقة : إنما حجه لأن الذنب كان في شريعة واللوم في شريعة ، وهذا من جنس ما قبله إذ لا تأثير في الحجة بوجه ، وهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسلها المتقدمة عليها وإن لم تجمعهم شريعة واحدة ، ويقبل الله شهادتهم عليهم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم .

وقالت فرقة أخرى : إنما حجه لأنه قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ولا يجوز لومه ، وهذا وإن كان أقرب مما قبله فلا يصح لثلاثة أوجه :

أحدها : أن آدم لم يذكر ذلك الوجه ، ولا جعله حجة على موسى ، ولم يقل أتلومني على ذنب قد تبت منه .

الثاني : أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتباه بعده ، وهداه ، فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلا عن كليم الرحمن .

الثالث : أن هذا يستلزم إلغاء ما علق به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجه الحجة واعتبار ما ألغاه فلا يلتفت إليه .

وقالت فرقة أخرى : إنما حجه لأنه لامه في غير دار التكليف ولو لامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه ، وهذا أيضا فاسد من وجهين : أن آدم لم يقل له لُمْتَنِي في غير دار التكليف ، وإنما قال أتلومني على أمر قدر عليَّ قبل أن أُخلق ، فلم يتعرض للدار ، وإنما احتج بالقدر السابق . الثاني : أن الله سبحانه وتعالى يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة .

وقالت فرقة أخرى : إنما حجه لأن آدم شهد الحكم وجريانه على الخليقة ، وتفرد الرب سبحانه بربوبيته ، وأنه لا تحرك ذرة إلا بمشيئته وعلمه ، وأنه لا راد لقضائه وقدره ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، قالوا : ومشاهدة العبد الحكم لا يدع له استقباح سيئةٍ لأنه شهد نفسه عدما محضا والأحكام جارية

عليه غير معروفة ، وهو مقهور مربوب مدبر لا حيلة له ولا قوة .

قالوا : ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم ، وهذا المسلك أبطل مسلك في هذا الحديث ، وهو شر من مسلك القدرية وهم إنما ردوه إبطالا لهذا القول وردًّا على قائليه ، وأصابوا في ردهم عليهم وإبطال قولهم وأخطأوا في رد حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة ، وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم ، ولم يبق للحدود معنى ، ولا يلام جانٍ على جنايته ، ولا ظالم على ظلمه ، ولا ينكر منكر أبدا ، ولهذا قال شيخ الملحدين ابن سينا في إشاراته : العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله تعالى في القدر ، وهذا كلام منسلخ من الملل ومتابعة الرسل .

وأعرف خلق الله به رسله وأنبياؤه، وهم أعظم الناس إنكاراً للمنكر، وإنما أرسلوا لإنكار المنكر ، فالعارف أعظم الناس إنكاراً للمنكر لبصيرته بالأمر والقدر ، فإن الأمر يوجب عليه الإنكار ، والقدر يعينه عليه وينفذه له ، فيقوم في مقام : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ . (الفاتحة : ٥) . وفي مقام : ﴿ **فَاعْبُدْه وَتَوَكَّلْ عَلَيْه** ﴾ . (هود : ١٢٣) .

فالقول بأن العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله في القدر خارج عما عليه الرسل قاطبة وليس هو من أتباعهم .

وإنما حكى الله سبحانه الاحتجاج بالقدر عن المشركين أعداء الرسل فقال تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **فللّه الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ .
(الأنعام : ١٤٨،١٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ الله مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شيءٍ** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِيْنُ** ﴾ .
(النحل : ٣٥) .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَه** ﴾ . (يس : ٤٧) .

وقال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِن عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** ﴾ . (الزخرف : ٢٠) .

فهذه أربعة مواضع حكى فيها الاحتجاج بالقدر عن أعدائه وشيخهم وإمامهم في ذلك عدوه الأحقر إبليس حيث احتج عليه بقضائه فقال : ﴿ **رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ . (الحجر : ٣٩) .

ولنرجع إلى حديث احتجاج آدم وموسى فموسى أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباه ربه وهداه واصطفاه ، وآدم أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته ، بل إنما لام موسى آدم على المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم ، فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية ، ولهذا قال له : « **أخرجتنا ونفسك من الجنة** » . وفي لفظ : « **خيبتنا** » . فاحتج آدم بالقدر على المصيبة ، وقال:إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئته كانت مكتوبة بقدره قبل خلقه ، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب ، أي أتلومني على مصيبة قدرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة ، وهذا جواب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

قال ابن القيم رحمه الله : وقد يتوجه جواب آخر وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع ، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته ، كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع بها الذاكر والسامع ، لأنه لا يدفع بالقدر أمرا ولا نهيا ، ولا يبطل به شريعة ، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراء من الحول والقوة . والموضع الذي يضر فيه الاحتجاج به في الحال

والمستقبل بأن يرتكب فعلا محرما ، أو يترك واجبا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره فيبطل بالاحتجاج به حقا ويرتكب باطلا ، كما احتج به المصورون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا : ﴿ **لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا** ﴾ . ﴿ **وَلَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ** ﴾ . فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه وأنهم لم يندموا على فعله ولم يعزموا على تركه ولم يقروا بفساده فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على ألا يعود فإذا لامه لائم بعد ذلك قال : كان ماكان بقدر الله .

ونكتة المسألة : أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر ، وإذا كان اللوم واقعا فالاحتجاج بالقدر باطل .

فإن قيل : فقد احتج عَلِيٌّ بالقدر في ترك قيام الليل وأقره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليه كما في الصحيح عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال لهم : « **ألا تصلون** » . قال : فقلت : يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين قلت له ذلك ولم يرجع إِلَيّ شيئا ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول : ﴿ **وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾[1].
(الكهف : ٥٤) ،قيل: عَلِيٌّ لم يحتج بالقدر على ترك واجب ولا فعل محرم ، وإنما

---

(١) رواه البخاري (٣/١٠) التهجد .

قال الحافظ : نقل ابن بطال عن المهلب قال : فيه أنه ليس للإمام أن يشدد في النوافل حيث قنع صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقول علي رضى الله عنه : « أنفسنا بيد الله » لأنه كلام صحيح في العذر عن التنفل ، ولو كان ظن أنه ما عذره قال : وأما ضربه فخذه وقراءته الآية فدال على أنه فرضاً أحرجهم فندم على إنباههم كذا قال وأقره الذهبي وليس بواضح وما تقدم أولى قلت لعله يشير إلى قول ابن التين : كره احتجاجه بالآية المذكورة وأراد منه أن ينسب التقصير إلى نفسه (انظر فتح الباري : ١١/٣) .

قال : إن نفسه ونفس فاطمة بيد الله فإذا شاء أن يوقظهما ويبعث أنفسهما بعثهما ، وهذا موافق لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة ناموا في الوادي : « **إن الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء** » . وهذا احتجاج صحيح صاحبه يعذر فيه فالنائم غير مفرط ، واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح .

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع العبد الاحتجاج به فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قَدَّرَ الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان** »[1]، فتضمن هذا الحديث أصولا عظيمة من أُصول الإيمان .

أحدها : أن الله سبحانه موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة .

الثاني : أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها ، فهو القوي ويحب المؤمن القوي ، وهو وتر يحب الوتر ، وهو جميل يحب الجمال ، وعليم يحب العلماء ، ونظيف يحب النظافة ، ومؤمن يحب المؤمنين ، ومحسن يحب المحسنين ، وصابر يحب الصابرين ، وشاكر يحب الشاكرين .

وثالثها : أن محبة المؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم أكثر من بعض .

ورابعها : أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده . والحرص هو بذل الجهد واستطلاع الوسع فإذا صادف ما ينتفع به

(١) تقدم تخريجه ص (٢٢٠) .

الحريص كان حرصه محمودا وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريصا ، وأن يكون حرصه على ما ينتفع به ، فإن الحريص على ما ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على ما ينفع .

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه ، أمره أن يستعين به ليجتمع له مقام : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ . (الفاتحة : ٥) ، فإن حرصه على ماينفعه عبادة لله ، ولا تتم إلا بمعونته ، فأمره بأن يعبده وأن يستعين به ثم قال : « **ولا تعجز** » فإن العاجز ينافي حرصه على ما ينفعه ، وينافي استعانته بالله ، فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزِمَّةُ الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه ، فإن فاته ما لم يقدر له فله حالتان : حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى لو ، ولا فائدة في لو ها هنا ، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن ، وذلك كله من عمل الشيطان ، فنهاه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن افتتاح عمله بهذا المفتاح وأمده بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته ، وأنه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد ، فلم يبق له ها هنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور ، وإذا انتفت امتنع وجوده ، فلهذا قال : فإذا غلبك أمر فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فأرشده إلى ماينفعه في الحالتين ، حالة حصول مطلوبه وحالة فواته ، فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه العبد أبدا بل هو من أشد شيء إليه ضرورة ، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام بالعبودية ظاهرا وباطنا في حالتي حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق .

فصل في الثمرات الحاصلة من الإيمان بالقضاء والقدر[1]:

الأولى : الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه بل يعتمد بقلبه على الله عز وجل ، ويعلم أن كل شيء بقدر الله عز وجل .

الثانية : أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصوله مراده ، لأن حصوله نعمة من الله تعالى بما قدره من أسباب الخير والنجاح ، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة .

الثالثة : الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى ، فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه ، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض ، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَاتَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَايُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ . (الحديد : ٢٢ : ٢٣) .

ويقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له** »[2] رواه مسلم .

الرابعة : تهون على العبد المصائب لعلمه بأن ذلك من عند الله سبحانه ، وما كان من عند الله سبحانه فالرضى به والتسليم له شأن كل عاقل ؛ لأنه خالقه وموجده من العدم ، فهو حقه وملكه يتصرف به كيف

---

(١) رسائل في العقيدة للعثيمين (٣٩) ، وشرح حديث الولي للشوكاني (٣١٣،٤١٤) .

(٢) رواه مسلم (١٢٥/١٨) الزهد .

يشاء ، كما يتصرف العباد في أملاكهم من غير حرج عليهم .

الخامسة : أن يعتقد العبد أن ما وصل إليه من الخير على أي صفة كان وبيد من اتُّفِق فهو منه عز وجل ، فيحصل له بذلك من الحبور والسرور ما لا يُقَادَرُ قدره ، لما له من العظمة التي تضيق أذهان العباد عن تصورها ، وتقصر عقولهم عن إدراك أدنى منازلها ..

وما أحسن ما قاله الحربي رحمه الله : من لم يؤمن بالقدر لم يتهن بعيش فهذا صحيح ، فما تعاظمت القلوب بالمصائب وضاقت بها الأنفس وحرجت بها الصدور إلا من ضعف الإيمان بالقدر .

اللهم ارحمنا برحمتك فإنا من الضعف ما أنت أعلم به ، ومن عدم الصبر على حوادث الزمان ما لا يخفى عليك ، ومن عدم الثبات على المحن ما لديك حقيقته ، ولكننا نسألك العافية التي أرشدتنا إلى سؤالها منك .

وانتهى إلى هنا ما قطفناه من ثمرات زكية في بيان العقيدة السلفية نسأل الله حسن النية ، وأن ينفع بهذا المصنف إخواننا وسائر البرية والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وعلى رسوله المصطفى أزكى صلاة وتحية .

مراجــع الكتــاب

مراجع عقائدية :

١ - القرآن الكريم		
٢ - الدين الخالص	لصديق حسن خان	
٣ - مجموع الفتاوى	لابن تيمية	ط- مكتبة ابن تيمية
٤ - أضواء البيان	للشنقيطى	ط- المدني
٥ - معارج القبول	لحافظ بن أحمد	المكتبة السلفية
٦ - شرح الطحاوية	لابن أبي العز	زكريا على يوسف
٧ - مختصر العلو	للألبانى	ط-المكتب الإسلامى
٨ - العقائد الإسلامية	لسيد سابق	ط- دار الفكر
٩ - عقيدة المؤمن	لأبي بكر الجزائرى	مكتبة الكليات الأزهرية
١٠- رسائل في العقيدة	للعثيمين	مكتبة المعارف
١١- لوامع الأنوار البهية	للسفاريني	
١٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل	لابن القيم	مكتبة الرياض الحديثة
١٣- تيسير العزيز الحميد	لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب	المكتب الإسلامي
١٤ - التوسل	للألباني	دار العلم ببنها
١٥ - فتح المجيد	لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ	دار إحياء التراث العربى
١٦- تحذير الساجد	للألباني	جمعية إحياء التراث
١٧- بداية السول في تفضيل الرسول	للعز بن عبد السلام بتحقيق الألباني	المكتب الإسلامى
١٨- الإذاعة	لصديق حسن خان	
١٩- المهدي حقيقة لا خرافة	لمحمد بن أحمد بن إسماعيل	دار طيبة

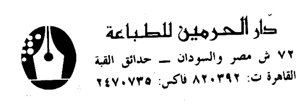
٢٠- الإيمان	لمحمد نعيم ياسين	دار عمر بن الخطاب
٢١- التوحيد	لابن خزيمة	
٢٢- عالم الملائكة	لعمر سليمان الأشقر	دار الكتاب الإسلامى
٢٣- تفسير القرآن العظيم	للحافظ ابن كثير	دار المعرفة
٢٤- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية	للسلمان	مكتبة الرياض الحديثة
٢٥- شرح القصيدة النونية لابن القيم	للدكتور محمد خليل هراس	الفاروق الحديثة للطباعة
٢٦- ولاية الله والطريق إليها	لإبراهيم إبراهيم هلال	
٢٧- منهج جديد فى دراسة التوحيد	لعبد الرحمن عبد الخالق	
٢٨- مجموعة شرائط في العقيدة	لعبد الرحمن عبد الخالق	
٢٩- الإبانة	لأبي الحسن الأشعرى	المكتبة السلفية
٣٠- دراسات في الأسماء والصفات	لمحمد الأمين للشنقيطى	من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٣١- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد	على بشر الريس العنيد	مطبعة الأشرف
٣٢- رياض الصالحين	للنووى	المكتب الإسلامي
٣٣- قطف الثمر في عقيدة أهل الاثر	لصديق حسن خان	دار الكتب السلفية
٣٤- إيثار الحق على الخلق	لابن الوزير	دار الكتب العلمية
٣٥- القواعد المثلى في أسماء الله الحسنى	للعثيمين	دار الكتب السلفية
٣٦- عقيدة المسلمين	للبليهي	الطبعة الثانية
٣٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة	لابن القيم	مكتبة المتنبي
٣٨- الاعتقاد للبيهقي	تصحيح ونشر أحمد محمد مرسى	
٣٩- شأن الدعاء	للخطابي	دار المأمون للتراث
٤٠- أسماء الله الحسنى	لرجائى بن محمد المصرى	المكتبة السلفية

مراجع حديثية :

١ - النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد	لجاسم الفهد	دار الخلفاء. الكويت

٢ - فتح الباري ، شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلاني طبعة السلفية
٣ - مسلم بشرح النووى طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها
٤ - عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق أبادي المكتبة السلفية بالمدينة المنورة
٥ - سنن النسائي شرح السيوطي وحاشية السندى دار الكتب العلمية
٦ - عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذى لابن العربي دار الوحى المحمدي
٧ - سنن ابن ماجة بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة العلمية
٨ - مسند الإمام أحمد بفهرس الألباني المكتب الإسلامى
٩ - موطأ الإمام مالك بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الحلبي
١٠- سنن الدارمى دار الكتب العلمية
١١- السنة لابن أبي عاصم ومعه ظلال الجنة للألبانى المكتب الإسلامي
١٢- شرح السنة للإمام البغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير شاويش دار بدر
١٣- جامع الأصول لابن الأثير بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط دار الفكر
١٤- مصنف عبد الرزاق بتحقيق الأعظمى المكتب الإسلامي
١٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المكتب الإسلامي
١٦- إرواء الغليل للألباني المكتب الإسلامي
١٧- صحيح ابن ماجه للألباني المكتب الإسلامي
١٨- صحيح الترمذي للألباني المكتب الإسلامي
١٩- أحكام الجنائز للألباني المكتب الإسلامي
٢٠- مستدرك الحاكم وبهامشه التلخيص للذهبي دار المعرفة
٢١- مجمع الزوائد لنور الدين للهيثمي دار الكتاب الإسلامي
٢٢ - المسند بتحقيق أحمد شاكر ابن تيمية دار المعارف
٢٣- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني المكتب الإسلامي
٢٤- ضعيف ابن ماجة للألباني المكتب الإسلامى
٢٥- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان لنور الدين الهيثمى دار الكتب العلمية

فهرس الموضوعات


دار الحرمين للطباعة
٧٢ ش مصر والسودان ـــ حدائق القبة
القاهرة ت: ٨٢٠٣٩٢ فاكس: ٢٤٧٠٧٣٥

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٨٦٦ / ١٩٨٩